الأصالة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجِيَّةٌ جامِعَةٌ

العددُ الثَّاني

١٥ جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ

التَّحرير

محمَّد موسى نَصر

سليم الهلالي

مشهور حسن سلمان

علي بن حسن

المُراسَلات : الأُردن :

عَمَّان (ص . ب) : ٦٢٠٥٢٠

أو: الزَّرقاء (ص . ب) : ٣٣٦٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمدَ للّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفِرُهُ، ونَعوذُ باللّهِ مِن شرورِ أَنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللَّهَ الَّذي تَساءَلونَ بهِ والأرحام إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء:١] .

﴿ ياأيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِحْ لكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب:٧١] .

أمّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه، وخَيرَ الهَديِ هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثَةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ، وكلَّ ضَلالةٍ في النَّار .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فـاتـحـة القـول

أصَالَـــةُ (الأَصَالَــة)

التحرير

(الأَصالةُ) فكرةٌ استولت على العقول، فكانت (عقيدةً) مشدودةَ العقدِ ببرهان القرآن، ثمَّ فاضت على أَسِلَّات (الألسنة)؛ فكانت كلاماً مشرقَ الجوانب بنور الحكمة، ثمَّ جاشت على أسنَّة (الأقلام)، فكانت كتابةً في صحائِفَ .

ومهما اشتدَّ الظَّلامُ ومدَّ مدَّه، وانتشر الظُّلمُ وجهدَ جهدَه، وبلغ الغاية من الشِّدَّة، فما ينال من « العقائد » نيلاً، نعم؛ تُصاب (الألسنة) بالسُّكوت، لكنْ ... إلى حينٍ، وتبلى (الأقلامُ) بالانكِسارِ، لكنْ ... إلى أوانٍ، ومع هذا فالسُّكوتُ خيرٌ من نشر الأباطيل، ولكن قديماً قيل : « أكبر أعوان الظَّلمة : كلام الطَّالحين، وسكوت الصَّالحين » !

وإن كان سكُوتُنا في فترةٍ مضت، فهو لحكمةٍ شاءها اللَّه عزَّ وجل، فقد كَمُلَت الخبرةُ أو كادت، واستحكمت التَّجرِبة ونضجت، فنحن نعلم أنَّ (سكوت) العاقل مُختاراً في وقتٍ يَحسُنُ السُّكوتُ فيه خيرٌ من أن ينطق مختاراً في وقت لا يَحسُنُ الكلام فيه، وكلُّ نَطقةٍ تمليها الظُّروفُ لا (العقائد)، تُثمر سكتةً عن الحق، ما من ذلك بُدّ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فـ (**الأصالة**) لها من اسمها نَصيبٌ، فهي لسانُ حقٍّ لا ينخرسُ ولا يخبو، وسيفُ صدقٍ لا ينثلمُ ولا ينبو، فـ (الصُّحُفُ) في لسان العُرف كَـ (الصَّحائف) في لسان الدِّين، منها صحائفُ الأبرار، ومنها صحائفُ الفجّار، فصحيفتنا للأبرار، أبوابها إليهم مُشرَعةٌ، حيَّةٌ في نفوسهم، متمثِّلةٌ في أفكارهم، موقظةٌ مشاعرهم، تشتاقُ إليهم، ويشتاقونَ لها، لأنَّهم سيرونَ فيها - إنْ شاء اللَّه تعالى - مَدَداً من النُّصرة، وفيضاً من القوَّة، تحمل في طيَّاتها الدِّين، مدعَّمة بالكتاب وصحيح السنَّة وَفقَ فهم سلف الأُمَّة .

أمَّا (الفجَّار) فهي صواعقُ حقٍّ مرسلةٌ عليهم، تدمغُ باطلَهم، وتدفع شُبَهَهم، وتكشفُ شرورَهم، وتدكُّ حصونهم، وترميهم بشُهُب (الحُجَج) وقذائف (البراهين) من كلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ .

وأخيراً ... فـ (**الأصالة**) أصيلةٌ في طرحها، ومنهجها، ومواضيعها، تعلم أنَّ (بيع القلم واللِّسان أقبح من بيع الجندي للسِّنان) وهي (تجري على ما تُريد) لا (على ما يُراد منها)، تُرَدِّدُ مع الزَّبَّاءِ - قبلَها - قولَها : « بيدي لا بيد عَمروٍ » .

نرجو أن يجد القارئُ (**الأصالةَ**) سلوةَ الظاعن، وأُنسَ المقيم، وأن تكونَ لساناً يفيضُ بالحكمةِ المستمدَّةِ من كلام اللَّه، وكلام رسوله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، والذي يَرمي بالشَّرر على المبطلينَ والمعطِّلين والمُخَذِّلين .

وأن تكونَ سَيفَ حقٍّ سُلَّ في وقتٍ نِيلَ فيه من دعوةِ الإسلامِ الشَّاملةِ: (السَّلفيَّة) و (أعلامها) الأبرار، دفاعاً عن الإيمانِ ... والمؤمنين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾

سليم بن عيد الهلالي

الرُّجولة صفةُ كمالٍ ترقى بالمجتمع المسلم إلى علياء الاستقامة وقمّة الاستقرار، فهيَ :

• تَطَهُّرٌ ﴿ فيه رِجالٌ يُحِبُّونَ أن يتطهَّروا واللَّهُ يحبُّ المُطَّهِّرين ﴾ [التوبة:١٠٨] .

• وحافزٌ لعبوديَّة اللَّه وحده : ﴿ رجالٌ لا تُلْهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ اللَّه وإقامِ الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة يخافونَ يوماً تتقلَّبُ فيهِ القلوبُ والأبصار ﴾ [النُّور:٣٧].

• وثباتٌ في الموقف، وصدقٌ في العهد : ﴿ مِنَ المؤمنينَ رجالٌ صدقوا ما عاهَدوا اللَّهَ عليهِ فمنهم مَن قضى نحبهُ ومنهم مَن ينتظرُ وما بدَّلوا تبديلاً ﴾ [الأحزاب:٢٣] .

• وتنظيمٌ لعلاقة الذَّكر بالأنثى : ﴿ الرِّجالُ قوَّامونَ على النِّساء بما فضَّلَ اللَّه بعضَهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أَموالِهم فالصَّالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيبِ بما حَفِظَ اللَّه ﴾ [النِّساء : ٣٤] .

﴿ وَلَهُنَّ مثلُ الذي عليهنَّ بالمعروف وللرِّجالِ عليهنَّ درجة ﴾ [البقرة:٢٢٨].

فلا جَرَم أنْ يصفَ اللَّهُ عزّ وجلّ أصحابَ محمَّد ﷺ بالرُّجولة ... نعم، لقد كان أصحابُ رسول اللَّه ﷺ رجالاً، تبوَّؤا العلمَ والإيمانَ والغيرةَ على دينهم وعِرضِهم، فقد كانوا أذلَّةً على المؤمنين، أعزَّةً على الكافرين .

نعم؛ قد : « كان أصحاب النَّبي ﷺ يتبادحونَ بالبطِّيخ، فإذا كانت الحقائق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانوا هم الرِّجال »[1]... هكذا - واللّهِ - الرِّجالُ ...

وللّهِ دَرُّ القائل :

رجالٌ صفت أخلاقُهم وتمخَّضت

وليس الكريمُ المحضُ مثلَ المُمَزَّجِ

أمّا إذا استنوق الرِّجالُ، فقد ذهبت الغيرةُ على الدين والعرض، وصدق القائل :

أبنيَّ إنَّ من الرِّجال بهيمةً

في صورةِ الرَّجل السَّميعِ المُبصِرِ

فَطِنٌ بكُلِّ مصيبةٍ في ماله

فإذا أُصيب بدينه لم يَشعُرِ

وإذا استبعرت النِّساء، فقد كَثُر الخَبَثُ ... فالهلاكُ الهلاكُ :

ما كانت العذراءُ تُبدي سِترَها

لو كان في هذي الجموعِ رجالُ

وعندئذٍ لا ينفعُ البُكاءُ على الأطلال، أو ضربُ الأمثال، أو تذكيرُ الأجيال؛ لأنَّ المقالَ سيكونُ كما قال عليٌّ - رضي اللّه عنه - لشيعته : « يا أشباهَ الرِّجال ولا رجال، حُلومُ الأطفال وعُقول ربَّات الحِجال » .

أو كما قالت أُمُّ أبي عبداللّه الأقمر - آخر مُلوك الطوائف - :

اِبكِ مِثلَ النِّساءِ مُلكاً مُضاعاً لم تُحافِظْ عليه مِثلَ الرِّجالِ

فيا مُسلمُ يا عبدَاللّه :

كُن رَجُلاً رِجْلُهُ في الثَّرى

وهامَةُ هِمَّتِهِ في الثُّريَّا

---

(١) رواهُ البخاري في « الأدب » (٢٦٦) بسند حسن، و (يتبادحون): يتضاربونَ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجوب تعاون المسلمين على البر والتقوى

محمد موسى نصر

عن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« ... واللَّهُ في عون العبد ما كانَ العبدُ في عونِ أخيهِ » أخرجه مسلم في « صحيحه » .

أمر اللَّهُ سبحانه وتعالى بالتَّعاون على البرِّ والتَّقوى، وأكَّده رسولُه عليه الصَّلاة والسَّلام بقوله وفعله .

قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعُدوانِ ﴾، فالتَّعاوُن المحمودُ شرعاً هو : ما كانَ في اللَّه، وللَّه، وأعانَ على طاعة اللَّه، وما سوى ذلك فليسَ منَ اللَّهِ في شيء، وأصحابه آثمون؛ لتعاونهم على معصية اللَّه سبحانه وتعالى .

والنَّبي ﷺ هوَ أوَّلُ واضعَ لِلَبِنَةِ التَّعاون في صرح العمل الإسلامي فهو – عليه الصَّلاة والسَّلام، وفي أوَّل يومٍ من هجرته، وفي أوَّل ساعة من وصوله إلى المدينة المنوَّرة – ندبَ الصَّحَابةَ رضي اللَّه عنهم فشمَّروا جميعاً عن سواعدِ الجدِّ، وبدؤوا ببناءِ المسجد؛ ليُصبحَ أول قاعدة من قواعد الدَّعوة الإسلاميَّة، وشارك النَّبيُّ ﷺ بنفسه في بناء المسجد؛ ليكونَ حافزاً قويّاً لهم على العمل الجادِّ المخلص، وليبيِّنَ لهم : أنَّ الإسلامَ دينُ عملٍ وجهادٍ وتعاونٍ، وأنَّ القائد المسلم ينبغي أن يكونَ متواضعاً، وأن لا يستكبرَ عن العمل مع رجاله وجُنده، فلمَّا رأى الصَّحابة رضي اللَّه عنهم نبيَّهم ﷺ يعمَلُ بيديهِ الشَّريفتينِ معَهم تفانَوْا في العملِ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأمرُ نَفسُه قد وقَعَ في حفرِ الخندقِ - ذلكم الخندقُ الطَّويلُ العظيمُ الذي احتاج إلى جهدٍ كبير - ولولا مشاركة النَّبي ﷺ بنفسِه في العمل لما استطاعَ الصَّحابة رضي اللّه عنه حفرَه قبلَ هجومِ الأحزابِ عليهم، وقد أدركَ النَّبيُّ ﷺ أهميَّة التَّعاون وعِظَمَ أثرِه في بقاء المجتمعات، فما كانَ منه عليه الصَّلاة والسَّلام إلَّا أن آخى بينَ المهاجرينَ والأنصار، فتعاونوا على البرِّ والتَّقوى، وضربوا بإخائهم أروع الأمثلة في المحبَّة والصِّدق والإيثارِ، وحبِّ الخيرِ لإخوانِهم ما لم يشهد التَّاريخُ له مثيلاً، مما أورث في قلوب المهاجرينَ حبَّ الأنصار؛ لأنَّ حبَّ الأنصارِ للمهاجرينَ وتعاونهم معهُم وإيثارهم على أنفسهم لم يكن - البتَّةَ - لغرضٍ دُنيويّ، وإنَّما كانَ حبّاً في اللّه وابتغاءاً لمرضاته .

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أنس رضي اللّه عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال : « لا يؤمنُ أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه » .

● الأُمَّة الإسلاميَّة كالبنيان الواحد :

والنَّبيُّ ﷺ يُشبِّه الأمَّة بالبنيان المتراصِّ المركبِ من اللَّبِنات، وكلُّ فرد من أمَّة النَّبي ﷺ لبنةٌ في هذا البناء، فلا بدَّ لكمال هذا البناء وسلامةِ بنيانه من سلامة هذه اللَّبِنات وتماسُكها، أمَّا إذا تفكَّكت وتهلهلت تصدَّع البناء وانهار، وكذلك الأمَّة الإسلاميَّة؛ أفرادها لبناتٌ في المجتمع الإسلامي، لا بدَّ من تَضافر جهودِهم واجتماع كلمتهم على طاعة اللّه سبحانه وتعالى وعلى ما يعودُ على أمَّة الإسلامِ بالخيرِ .

وما أصاب المسلمينَ على مرِّ العصورِ من وَهَنٍ وضَعفٍ وتسلُّطِ أعدائهم عليهم إلَّا بعدَ تفكُّكهم وضعفِهم وقلَّة تعاونهم فيما بينهم، والتَّأريخُ يشهد لما نقول كما حَدَثَ أيَّامَ المغول والصَّليبيين، وفي الأندلس وفلسطين، وكذا اليوم في البوسنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والهرسك، والجمهوريات الإسلاميَّة - الرُّوسيَّة - !!

قال تعالى : ﴿ واعتَصِموا بحبلِ اللّهِ جميعاً ولا تفرَّقوا ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ ولا تَنازَعُوا فَتَفشَلُوا وَتَذهَبَ رِيحُكُم ﴾ أي: قوَّتكم .

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً وشبَّك بينَ أصابعه » متَّفق عليه .

قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى : « هذا تمثيلٌ يُفيد الحضَّ على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأنَّ ذلكَ أمرٌ متأكدٌ لا بدَّ منه، فإنَّ البناءَ لا يتمُّ ولا تحصلُ فائدته إلَّا بأنْ يكونَ بعضه يُمسك بعضاً، ويُقوِّيه وإن لم يكن ذلك انحلَّت أجزاؤُهُ وخَرِبَ بناؤه، وكذلك المؤمنُ لا يستقلُّ بأمر دُنياه ودينه إلَّا بمعاونة أخيه ومعاضدته، فإن لم يكن ذلك عَجِزَ عن القيامِ بكلِّ مصالحه ومقاومة مضارِّه، فحينئذ لا يتمُّ له نظامُ دنياهُ ولا دينِه ويلحقُ بالهالكين » .

ومجالاتُ التَّعاون بينَ المسلمينَ كثيرة جدًّا: فهم يتعاونونَ في مساجدهم على طاعة ربِّهم، فعلماؤهم يعلِّمونَ عامَّتهم ويفقهونهم في دينهم، ويتعاونونَ في جهادهم على قتال أعدائهم وحماية دينهم وأعراضهم وأوطانهم .

ولقد رأينا ما أصابَ المسلمينَ في بعض ديار الإسلامِ من هوانٍ شديدٍ ناتجٍ عن تسلُّطِ الأعداءِ عليهم، وذلك عندما تخلَّى عنهم أبناءُ دينهم وعقيدتهم، فنالَ منهم العدوُّ ما نالَ من قتلٍ وأسرٍ وتشريدٍ، فأصابهم ما أصاب أصحابَ الحكاية المشهورة التي تُروى في كتب الأدب الذين قِيلَ فيهم المثل المشهور : « أُكلت يومَ أُكِلَ الثَّورُ الأبيض » !

فالعدوُّ الماكرُ اللَّئيمُ يعرفُ متى ينقضُّ على هذه الأمَّة، فأوَّل عمل يقوم به تشتيتُ جمعهم، وتفريقُ كلمتهم، والوقيعةُ بينهم، فإذا تفرَّقوا خلا بهم على انفراد .

ولقد حذَّرَ النَّبي من ذلك بقوله عليه الصَّلاة والسَّلام :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

« ما من ثلاثة في قرية ولا بادية لا يقيمونَ صلاة الجماعة إلَّا استحوذَ عليهم الشَّيطان، فعليكُم بالجماعة فإنَّما يأكلُ الذِّئبُ منَ الغنم القاصية »[1]، أي: المتخلِّفة عن القطيع، المنفردة وحدها؛ لأنَّ نجاتها وسلامَتها ببقائها مع جماعتها من الأغنام، وكذلك يُقال لهذه الأمَّة التي تداعَت عليها الخصومُ والأعداء كتداعي الأَكَلَةِ إلى قصعتها .

فالاجتماعُ قوَّةٌ والتَّفرُّقُ ضعفٌ وتَشتُّت وهوان.

تأبى الرِّماحُ إذا اجتَمعنَ تكسُّراً وإذا افترقنَ تكسَّرت آحادا

فالتَّعاونُ مطلوبٌ من الجميع؛ أفراداً وجماعاتٍ، وعلى المستويات كافَّة، في البيت، وفي السُّوق، وفي المسجد، وفي الحقل، وفي المصنع، وفي الحرب، وفي السِّلم، وفي كلِّ ميادين العمل .

ولا بدَّ من المحبَّة والإخاء، لدوام التَّعاون بينَ المسلمينَ، فالنَّفسُ البشريَّةُ لا تأنس إلَّا بمن تحبّ، فالأرواحُ جنودٌ مجنَّدة فما تعارف منها ائْتَلَفَ وما تناكر منها اختلف، ولذلك رغَّب النَّبيُّ ﷺ أمَّته أن تتعارف فيما بينها، وأن يزورَ بعضُها بعضاً، ووضع حقوقاً للمسلم بأدائها والمحافظة عليها تَدخُلُ المودَّةُ إلى قلوبهم؛ فزيارة المريض إذا مرض، وتشميتُ العاطس أذا عطس، وردُّ السَّلام على من عرفت ومن لا تعرف، ومشاركتُهم في أفراحهم، والشعورُ معهم في مصايبهم وأحزانهم، كل ذلك قواعد متينةٌ لبقاء المودَّة بينَ المسلمين واستمراريتها، وهي سببٌ مباشرٌ لتعاونهم بعضهم مع بعضٍ .

وعن النُّعمان بن بشير رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحُمَّى » متَّفق عليه .

(١) رواه أبو داود والنسائي عن أبي الدَّرداء، انظر « صحيح الترغيب » (٤٢٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ففي هذا الحديث تعظيمُ حقوق المسلمين، والحضُّ على تعاونهم، وملاطفة بعضهم بعضاً .

ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام : « لا تحاسدوا، ولا تناجشوا[١]، ولا تباغضوا، ولا تدابروا[٢]، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد اللَّهِ إخوانا : المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، التَّقوى ههنا - ويشيرُ إلى صدره ثلاث مرَّات - بحسب امرئٍ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعِرضُه » رواه مسلم .

فانظر رحمك اللَّهُ إلى مجتمع سَلِمَ من هذه الآفات والأُمراض كيف يكون قويَّاً سليماً يتعاون أبناؤه فيما بينهم ويتحابُّونَ في اللَّه، وينصر قويُّهُم ضَعِيفَهُم !؟ وهذا هو سرُّ فلاح أسلافنا وانتصاراتهم على أعدائهم وتمكين اللَّه لهم في الأرض .

فهل نُدرك - حقيقةً - ما كانَ عليه أسلافنا من التَّعاون وحب الخير للآخرين فنفُوزَ كما فازوا، وبذلك يُحَقِّقُ اللَّهُ لنا ما وَعَدَنا في كتابه وسنَّة رسوله، نسألُ اللَّه أن يكونَ ذلكَ قريباً .

وآخِرُ دعوانا أنِ الحمد للَّه ربِّ العالمين .

□ □ □ □ □

(١) النجش : الزيادة في الثمن بقصد أن يغرَّ غيره .

(٢) التدابر : التقاطع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاء بين الدَّفع والاستدعاء

عبدالله الصَّالح العُبَيلان

الابتلاءُ من سنن اللَّه في الحياة، بل من أعظم مقاصد خلق العباد، قال تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملاً ﴾ فلا بدَّ منه لجميع النَّاس؛ مؤمنهم وكافرهم، قال تعالى : ﴿ أحسِبَ النَّاسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنَّا وهم لا يُفتَنون ولقد فتنَّا الذينَ من قبلهم فَلَيَعلَمَنَّ اللَّهُ الذينَ صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين ﴾، وقال تعالى : ﴿ وما كانَ اللَّه ليذرَ المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يَميزَ الخبيث من الطيِّب ﴾، وقال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولمَّا يأتِكُم مَثَلُ الذين خَلَوا من قبلكم مسَّتهُم البأساءُ والضرَّاءُ ... ﴾ الآية .

وهذا الابتلاء يكون بأشياء كثيرةٍ أعظمُها تكليفُهم بالتَّوحيد ومن ثمَّ مكمِّلاته من الأمر والنَّهي .

ومن ذلك الابتلاءُ بالمصائب والآلام كالمرض وفَقْدِ الأحبَّة، ليعلمَ اللَّهُ الذين صدقوا ويعلمَ الكاذبين، بل حتى ما يُعطى الإنسان في هذه الحياة من مالٍ ومنصبٍ وجاهٍ بَلْهَ العلم الشَّرعي وكونه من عِداد أهل العلم هذا من الابتلاء والاختبار وإذا كان الابتلاء ممَّا قضت به سنَّةُ اللَّهِ في الحياة فإنَّ ابتلاء الدُّعاة إلى اللَّه عزَّ وجل ممَّا جرت به السنَّة الإلهيَّة .

وأيضاً فهم يُبْتَلون بأذى الكفرة والفَجَرةِ بالقول والكيد واليد .

قال تعالى : ﴿ ولقد كُذِّبت رُسُلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا وأُوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدِّلَ لكلمات اللَّه ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد نعلمُ أنَّك يَضيقُ صدرُك بما يقولونَ فسبِّح بحمدِ ربِّك وكُن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من السّاجدين واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فاصبر إنَّ وعد اللّه حقٌّ ولا يستخفنَّك الذين لا يُوقِنُونَ ﴾ .

قال ابن كثير في « تفسيره » (٣/٧٠) : « أي يحملونك على الخفّة والطّيش بعدم الصّبر » .

والدُّعاةُ إلى اللّه يكيد لهم أهلُ الباطل ويفترونَ عليهم الكذبَ؛ لأنّهم قوم ضالُّون وجاهلون .

وقد أُوذيَ الصّحابةُ في مكّة أشدَّ الأذى، وكانَ ﷺ يأمرهم بالصّبر: « صبراً آل ياسر إنَّ موعدكم الجنّة »، فعلى الدّاعي المسلم أن يقابل الأذى الذي يلقاه بالصّبر الجميل كما فعل الرّسول ﷺ وصحابته الكرام، ومن قبلهم رسل اللّه، فإنَّ هذا الصّبر مما ينعقد عليه عزم المؤمنين وتتجه إليه إراداتهم ﴿ واصبر على ما أصابكَ إنَّ ذلك من عزمِ الأُمور ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لَتُبلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم وَلَتسمَعُنَّ من الذين أوتوا الكتابَ من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتّقوا فإنَّ ذلك من عزم الأمور ﴾ .

وإذا كانَ البلاءُ والابتلاءُ مما يصيب الدُّعاةَ إلى اللّه وبهذا جَرَت سنّةُ اللّه، فهل معنى ذلك أنَّ على الدّاعي المسلم أن يستدعي البلاء ويعمل على وقوعه ولا يجوزُ له دفعه ؟

في المسألة إيضاحٌ وبيانٌ؛ لأنَّ هذه المسألة يقع فيها الاشتباهُ والخلطُ بسبب قصور الفهم، لا بسبب سوء النيّة والقصد !

ولشرح ذلك كلّه أذكر ما يلي :

أوّلاً : المطلوبُ من الدّاعي المسلم أن يدعو إلى اللّه على بصيرة بالوسائل والكيفيّات المشروعة التي بيّنها القرآن الكريم وطبّقها الرّسول ﷺ وأخذها عنه أصحابُه ومَن بَعدَهُم مِن سَلَف الأُمّة الصّالحين، فإذا أدّت هذه الوسائل إلى أذى يصيب الدّاعي فعليه أن يتقبّله بالصّبر لا بالجزع، وبالثّبات لا بالفرار .

ثانياً : إذا كانَ للدّاعي المسلم مندوحةٌ من الأذى – أي : يستطيع أن يتوقّاه ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جب عليه أن يقابله - فعليهِ أن يتوقّاه حسب الظُّروف والأحوال، فقد يباح له الابتعاد عنه بعدم مباشرة ما يستدعيه، وقد يجب عليه الابتعاد وعدم مباشرة ما يستدعيه لأنَّ الابتلاء صعبٌ على النَّفس فلا يجوز الحرص عليه ولا الرَّغبة فيه، لأنَّ فيه فتنة مجهولة العاقبة .

وقد يُحِسُّ المسلمُ من نفسه القدرةَ على الثَّبات، ومن ثمَّ لا يُبالي بالابتلاء، بل ربما رغب فيه إمَّا طمعاً بثواب الله، وإمَّا لِتَدَخُّلِ وسوسةِ الشَّيطان ليقال عنه : ما أثبته ! وما أصبره على البلاء ! فإذا نزل البلاء، ضَعُف عن الاحتمال ووقع في الافتتان .

قال شيخ الإسلام : وقد قال تعالى لمن هو أفضلُ من هؤلاء المشايخ : ﴿ ولقد كنتُم تَمَنَّونَ الموت من قبل أن تلقَوهُ فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾، وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كَبُرَ مقتاً عندَ الله أن تقولوا ما لا تفعلون إنَّ الله يُحِبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنَّهم بنيانٌ مرصوص ﴾ .

وفي « التِّرمذي » وغيره - بسندٍ صحيحٍ - أنَّ بعض الصَّحابة قالوا للنَّبي ﷺ : لو علمنا أي العمل أحب إلى الله لعملناه ! فأنزلَ الله تعالى هذه الآية .

وقد قال تعالى : ﴿ ألم ترَ إلى الذينَ قيلَ لهم كُفُّوا أيديَكم وأقيموا الصَّلاة وآتوا الزَّكاة فلمَّا كُتِب عليهم القتالُ إذا فريقٌ منهم يخشونَ النَّاسَ كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربَّنا لِمَ كَتَبتَ علينا القتالَ لولا أخَّرتنا إلى أجلٍ قريب ... ﴾ الآية .

فهؤلاء الذينَ كانوا قد عزموا على الجهاد وأحبُّوه لمَّا ابتلُوا به كرهوه وفرُّوا منه، وأين ألَمُ الجهاد من ألَمِ النَّار وعذابِ الله الذي لا طاقةَ لأحدٍ به، ومثل هذا ما يذكرونه عن سَمنُون المحبّ أنَّه كان يقول :

وليس لي في سِواكَ حظٌّ فكيفما شئتَ فاختبِرني

فأخذه العُسرُ من ساعته - أي: حُصِرَ بولُه - فكان يدور على المكاتب ويفرِّق على الصِّبيان ويقول : ادعوا لعمِّكم الكذّاب » . أ . هـ

ثالثاً : روى مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ عاد رجُلاً منَ المسلمينَ قد خَفَتَ، فصارَ مثلَ الفرخِ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال رسول الله ﷺ : « هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إيَّاه ؟ » .

قال : نعم، كنت أقول : اللَّهمَّ ما كنت معذِّبني به في الآخرة، فعجِّله لي في الحياة الدُّنيا .

فقال رسول الله ﷺ : « سبحانَ الله ! لا تُطيقُه، أو : لا تستطيعه، أفلا قلت : اللَّهمَّ آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النَّار » .

قال : فدعا الله فشفاه .

قال شيخ الإسلام معقِّباً على هذا الحديث : فهذا أيضاً حمله خوفه من عذاب النَّار، ومحبَّته لسلامة عاقبته على أن يطلب تعجيل ذلك في الدُّنيا وكان مخطئاً في ذلك غالطاً (١).

وروى أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث حذيفة بسند صحيح أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

« لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه » .

قالوا : وكيف يذل نفسه يا رسول الله ؟

قال : « يتحمَّل من البلاء ما لا يطيق » .

رابعاً : من الأدعية المأثورة الثَّابتة أن يسأل المسلمُ ربَّه العفو والعافية؛ والعافيةُ يدخل فيها المعافاة من الابتلاءِ والمُؤذيات، وهذا يدلُّ على أنَّ التخلُّص والخلاص من أذى أهل الباطل ممدوحٌ ومحمودٌ غير مذمومٍ .

□ □ □ □ □

(١) « مجموع الفتاوى » (١٠/٦٩٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسائل عصريّة في السّياسة الشرعية

محمّد ناصر الدّين الألباني
ومقبل بن هادي الوادعي، وآخرون .

إنَّ الحمد لِلَّه، نحمده، ونستعينه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده اللَّه فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلّا اللَّه وحده لا شريك به .

وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله .

أمّا بعد :

فإنَّ اللَّه قد أخذ العهد والميثاق على العلماء أن يبيّنوا للنّاس ما نُزِّل إليهم؛ قال تعالى : ﴿ وإذْ أخَذَ اللَّهُ ميثاقَ الَّذينَ أوتوا الكتابَ لتُبيّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا تَكتُمونَه ﴾ .

ولعن الَّذين يكتمون الحقَّ فقال : ﴿ إنَّ الذينَ يكتمونَ ما أنزلنا من البيِّناتِ والهُدى من بعد ما بيَّنَّاه للنَّاس في الكتابِ أولئك يَلعَنُهُم اللَّهُ ويلعَنُهُم اللَّاعنونَ إلَّا الذينَ تابُوا وأصلَحوا وبيَّنوا فأولئك أتوبُ عليهِم وأنا التوَّابُ الرَّحيم ﴾ .

وتوعَّد من كتم العلم بالنَّار فقال : ﴿ إنَّ الذين يكتمونَ ما أنزلَ اللَّه منَ الكتابِ ويشترونَ بهِ ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلونَ في بطونِهِم إلَّا النَّارَ ولا يُكلّمهُم اللَّه يومَ القيامةِ ولا يُزكّيهم ولهم عذاب أليم ﴾ .

وعملاً بقوله ﷺ : « الدين النَّصيحة » .

قلنا : لمن يا رسول اللَّه ؟

قال : « للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم » رواه مسلم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونظراً لما تعيشه الأمّة الإسلاميّة من أحداث، وما يُحاك ضدها من مؤامرات من أهمّها الأفكار المستوردة الدخيلة التي أفسدت على الأمّة عقيدتها وشريعتها؛ فكان لزاماً على من آتاهم اللّه علم الشّريعة أن يبيّنوا حكم اللّه في الأمور التّالية :

١ - الدّيمقراطيّة :

وهي عند واضعيها ومعتنقيها: حكم الشّعب نفسه بنفسه، وأنَّ الشّعب مصدر السّلطات جميعاً . وهي بهذا الاعتبار مناقضة للشّريعة الإسلاميّة والعقيدة، قال تعالى: ﴿ إنِ الحُكمُ إلّا للّه ﴾، وقال : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الكافرون ﴾، وقال : ﴿ أم لهم شُركاءُ شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللّه ﴾، وقال : ﴿ فلا وربِّك لا يؤمنونَ حتى يحكِّموك فيما شجر بينهم ﴾، وقال تعالى : ﴿ ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾ .

ولأنَّ الديمقراطيّة نظام طاغوت، وقد أمرنا أن نكفر بالطّاغوت قال تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن باللّه فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها واللّه سميع عليم ﴾، وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كلِّ أمّة رسولاً أنِ اعبدوا اللّه واجتنبوا الطّاغوت ﴾، وقال : ﴿ ألم ترِ إلى الذين أُوتُوا نَصيباً من الكتابِ يؤمنون بالجِبتِ والطّاغوتِ وَيقولونَ للّذينَ كَفَرُوا هؤلاءِ أهدى مِنَ الّذينَ آمَنوا سَبيلاً ﴾ .

فالديمقراطيّة والإسلام نقيضان لا يجتمعان أبداً !

إمّا الإيمان باللّه والحكم بما أنزله، وإمّا الإيمان بالطّاغوت والحكم به، وكل ما خالف شرع اللّه فهو من الطاغوت .

ولا عبرةَ بمن يحاول أن يجعلها من الشورى الإسلامية، لأنَّ الشورى فيما لا نصَّ فيه ولأهل الحل والعقد من أهل الدين والورع، والديمقراطيّة بخلاف ذلك كما سبق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢ - التَّعدُّديَّة :

وهي فرع عن الديمقراطيَّة، وهي قسمان :

تعدديَّة سياسيَّة .

وتعدديَّة فكريَّة عقائديَّة .

أمَّا التَّعدديَّة العقائديَّة : فمعناها أنَّ النَّاسَ في ظلِّ النِّظام الدِّيمقراطي لهم الحريَّة في أن يعتقدوا ما يشاؤون، ويمكنهم الخروج من الإسلام إلى أيِّ ملَّة ونحلة أخرى حتى ولو كانت يهوديَّة أو نصرانيَّة أو شيوعيَّة أو اشتراكيَّة أو علمانيَّة، وتلك هي الردَّة بعينها .

قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين ارتدُّوا على أدبارهم من بعد ما تبيَّن لهم الهدى الشيطانُ سوَّل لهم وأملى لهم ذلك بأنَّهم قالوا للذين كرهوا ما نزَّل اللَّه سنطيعكم في بعض الأمر واللَّه يعلم إسرارهم ﴾، وقال تعالى : ﴿ ومن يرتدَّ منكم عن دينه فيمتْ وهو كافرٌ فأولئك حبطت أعمالُهم في الدُّنيا والآخرة وأولئك أصحابُ النَّار هم فيها خالدون ﴾، وقال : ﴿ ومن يَبْتَغِ غير الإسلامِ ديناً فلن يُقبَلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

وأمَّا التَّعدُّديَّة السياسيَّة : فهي فتح المجال لكافَّة الأحزاب بِغَضِّ النَّظر عن أفكارها وعقائدها لتحكم المسلمين عن طريق الانتخابات، وهذا فيه مساواة بين المسلم وغيره .

وهذا خلافٌ للأدلَّة القطعيَّة التي تُحرِّمُ أن يتولَّى المسلمين غيرُهم، قال تعالى : ﴿ ولن يجعل اللَّهُ للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾، وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا اللَّه وأطيعوا الرَّسولَ وأُولي الأمرِ منكم ﴾، وقال تعالى : ﴿ أفنجعلُ المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكُمون ﴾ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولأنَّ التَّعدديَّة تؤدي إلى التَّفرُّق والاختلاف الموجب لعذاب اللَّه قال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالَّذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيِّنات وأولئك لهم عذابٌ عظيم ﴾، وموجبٌ أيضاً لبراءة اللَّه ورسوله ممَّن يفعل هذا، قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعاً لستَ منهم في شيء ﴾ الآية .

ومن حاول أن يجعل هذه التَّعدديَّة تعدديَّةَ برامجَ لا مناهجَ أو على غرار الخلاف المذهبي بين علماء الإسلام، فالواقع يردُّه، ولأنَّ برنامج كل حزب منبثق من فكره، وعقيدته؛ فبرنامج الاشتراكي منطلق من مبادئ الاشتراكيَّة، والعلماني الدِّيمقراطي من مبادئ الدِّيمقراطيَّة ... وهلمَّ جرّاً .

٣ - التَّحالف والتَّنسيق مع الأحزاب العلمانيَّة :

ومعنى التَّحالف هو الاتِّفاق بين المتحالفين على أمور ينصر بعضهم بعضاً فيها .

والتَّنسيق - كما في « لسان العرب » (١٢/٢٣٠) -: النَّسق من كلِّ شيء؛ ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، والتَّنسيق : التَّنظيم، هو أبلغ من التَّحالف، والتَّنسيق على نصرة الدِّيمقراطيَّة، والتَّعدديَّة، والرَّأي، والرَّأي الآخر، وتداول السُّلطة سلميّاً الذي أبرمته الأحزاب الإسلاميَّة في أكثر من بلد إسلامي مع الأحزاب العلمانيَّة كان من آخر ذلك ما وقع للتَّجمع اليمني للإصلاح مع حزب البعث العربي الاشتراكي، وهذا التَّحالف والتَّنسيق حرام؛ لأنَّه تعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾، وقال : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النَّار وما لكم من دونِ اللَّه من أولياء ثمَّ لا تنصرون ﴾، وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تتَّخِذُوا بِطانةً من دونكم لا يَأْلونكم خَبالاً ودوا ما عَنِتُّم قد بَدَت البغضاءُ من أفواهِهم وما تُخفي صدورُهم أكبرُ قد بيَّنَّا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكم الآياتِ إن كنتم تعقلون ﴾ ولأنَّ من لوازم هذا التَّنسيق والتَّحالف أن يُوادَّ بعضهم بعضاً، وفيه إخلالٌ بمبدأ الولاء والبراء، وهما من أوثق عرى الإيمان والله يقول : ﴿ ومن يتولَّهم منكم فإنَّه منهم ﴾، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام :

« المرءُ مع من أحب » ! متَّفق عليه .

وقد استدلَّ المُتحالفون المنسّقون بأدلَّة لا تدلُّ على ما أرادوا؛ فمن أدلَّتهم :

(١) تحالُف النَّبي ﷺ مع اليهود .

والجواب من وجوه :

أ - لم يصحَّ ذلك مسنداً لأنَّه معضل .

ب - بنود تلك الوثيقة المُستَدَلّ بها على فرض صحَّتها تخالف مضمونَ التَّحالف الموجود .

جـ - اختلافُ حكم اليهود عن حكم المُمْتَنِعين عن تطبيق شرع الله .

د - ليسوا مُضطَرّين إلى هذا التَّحالف لأنَّ الضَّرورة الشَّرعيَّة غيرُ محققّة؛ لأنَّ شرط الضرورة غير موجود .

هـ - لو صحَّ فإنَّ ذلك التَّحالف منسوخٌ بأحكام الجزية .

و - كان رسول الله ﷺ يُمَثِّلُ الدَّولة الإسلاميَّة، **وليس لجماعةٍ أو حزبٍ في طور الدَّعوة إلى الله أن تجعل نفسَها مقام الدَّولة الإسلاميَّة .**

ز - اليهود كانوا ضمن رعايا الدَّولة الإسلاميَّة ولم يكن تحالف النِّد للنِّد .

ومن أدلَّتهم :

(٢) حلف خُزاعة .

أ - والصَّحيح أنَّهم كانوا مسلمينَ، حيث جاء في السِّيرة: (ثمَّ أسلمنا فلم ننزع يداً، وقتلونا رُكَّعاً وسجداً) .

ب - على فرض كونهم مشركين فحكم الكافر الأصلي يختلف عن حكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الممتنع عن تطبيق شرع الله .

جـ - اختلاف مضمون ما يقوم عليه التَّحالفُ الآن عن مضمون حلف خُزاعة؛ فبنود اتِّفاقيَّة الأحزاب سبقت الإشارة إليها، وأمَّا بنود حلف خُزاعة فلم يكن فيه تنازلٌ عن حقٍّ ولا رضىً بباطل .

ومن أدلَّتهم :

(٣) جِوَارُ المُطعِم بن عديّ وأبي طالب لرسول الله ﷺ .

والجواب : أنَّ ذلك فيه تنازلٌ .

○ تناقضات المتحالفين :

مرَّة يقولون : أحزاب علمانيَّة، ومرَّة يقولون : التَّعدديَّة تعدديَّة برامج وليست مناهج، ومرَّة يقولون : الحزب الفلاني على حاله الآن مرتدّ ولكن جاء تائباً فمن ثَمَّ حكموا بإسلامهم وتوبتهم، فلماذا يحتجُّونَ بأنَّ النَّبي ﷺ حالف اليهود والمشركين ؟ وإنْ حكموا بردَّتهم فكيف تحالفوا معهم ؟ وهذا تناقُضٌ، وعلى فرض صحَّة توبتهم، فيلزمهم شرعاً الأمور التَّالية :

أ - إعلان براءتهم من كل ما اعتقدوه واشتهروا به وبيان اعترافهم بخطأ منهجهم الذي سلكوه .

ب - التَّخلِّي عن كل ما يُصادِمُ الإسلامَ ظاهراً وباطناً .

ومن أدلَّتهم :

(٣) صلح الحديبية :

والجواب :

أ - تلك الدَّولة الإسلاميَّة لها حقُّ إبرامِ الصُّلح مع المحاربين فيما تراه مصلحة راجحة على المفسدة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب - لم يكن في صلح الحديبية تنازل جوهريّ كحال المتحالفين مع الأحزاب؛ فبدل (الرّحمن الرّحيم) كتب : (باسمك اللّهم)، وأمّا عدم كتابة رسول اللّه فليس فيها دليل على أنّه ينفي الرّسالة عن نفسه بل قال : « واللّه إنّي لرسول اللّه » .

جـ - ما وقع من المصالحة كان فيها مصلحة راجحة ألا وهي تعظيم حرمات اللّه، فأين هذه من المفسدة العظيمة التي ترتبت على التّحالف والتّنسيق ؟

د - واختلاف حكم الكافر الأصلي عن حكم الممتنع عن الشّريعة .

٤ - الانتخابات السّياسيّة :

فهي بالطّريقة الديمقراطيّة حرام أيضاً لا تجوز، لأنّه لا يشترط في المنتَخَب والنّاخِب الصّفات الشّرعيّة لمن يستحق الولاية العامّة أو الخاصّة، فهي بهذه الطّريقة تؤدّي إلى أن يتولى حكم المسلمين من لا يجوز توليته ولا استشارته ولأنّ المقصود بالمنتَخَب أن يكون عضواً في مجلس النّواب التّشريعي والمجالس النّيابيّة التي لا تحتكم إلى كتاب اللّه وسنّة رسوله وإنّما تتحاكم إلى الأكثريّة؛ فهي مجالس طاغوتيّة لا يجوز الاعتراف بها، فضلاً عن أن يسعى المسلم إلى إنشائها ويتعاون في إيجادها وهي تحارب شرع اللّه ولأنّها طريقة غربيّة من صنع اليهود والنّصارى ولا يجوز شرعاً التّشبّه بهم .

ومن يقول : إنّه لم يثبت في الشّرع طريقة معيّنة في اختيار الحاكم فمن ثمّ فلا مانع من الانتخابات .

يُقال له : ليس صحيحاً أنّه لم يثبت ذلك في الشّرع فما فعله الصّحابة من كيفيّات الاختيار للحاكم فكلها طرق شرعيّة .

وأمّا طريقة الأحزاب السّياسيّة فيكفي في المنع منها أنّه لا يوضع لها ضوابط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتؤدِّي إلى تولية غير المسلم وليس أحد من الفقهاء يقول بجواز ذلك .

٥ - العمل السياسي :

ميثاق الشَّرف !

مضمون هذا الميثاق اتِّفاقهم على أن لا يُكَفِّر بعضهم بعضاً وترسيخ مبدأ الدِّيمقراطيَّة ! وحكم الإسلام في هذا أنَّه يكفر من كفره اللَّه ورسوله ويفسق من فسقه اللَّه ورسوله ويضلل من ضلله اللَّه ورسوله، وليس في الإسلام صكوك حرمان وغُفران، وتكفير المسلم العاصي ليس من منهج أهل السنَّة والجماعة ما لم يستحل المعصية .

وأمَّا الدَّساتير الوضعيَّة ومنها دستور الجمهوريَّة اليمنيَّة فقد بيَّن علماء اليمن ما فيه من ثغرات ومخالفات بما أغنى عن إعادته .

طريقةُ دعوتِنا إلى اللَّه التي يجبُ أن يفهمَها الجَميعُ :

١ - ندعو إلى كتابِ اللَّه وسنَّةِ رسوله بالحكمَةِ والمَوعظَةِ الحسنةِ على فَهم السَّلف .

٢ - نعتبرُ أهمّ واجباتِنا الشَّرعيَّة مواجهةَ الأفكار المستوردة والبدع الدَّخيلة على الإسلامِ، بالعلم النَّافعِ والدَّعوةِ إلى اللَّه ونشر الوعيِ، وتصحيحِ المعتقداتِ والمفاهيمِ، وجمعِ كلمةِ المسلمين على ذلك .

٣ - نرى أنَّ الأُمَّة ليست بحاجة إلى ثورات واغتيالات وفِتَنٍ، ولكنَّها بحاجةٍ إلى التَّربية الإيمانيَّة والتَّصفية الفكريَّة، وهذه من أنجح الوسائل لإعادةِ الأُمَّة إلى عزّها ومجدها .

○ وختاماً نحبُّ أن ننبه إلى أنَّ مِن دوافعِ هذا البيان أنَّنا رأينا بعض

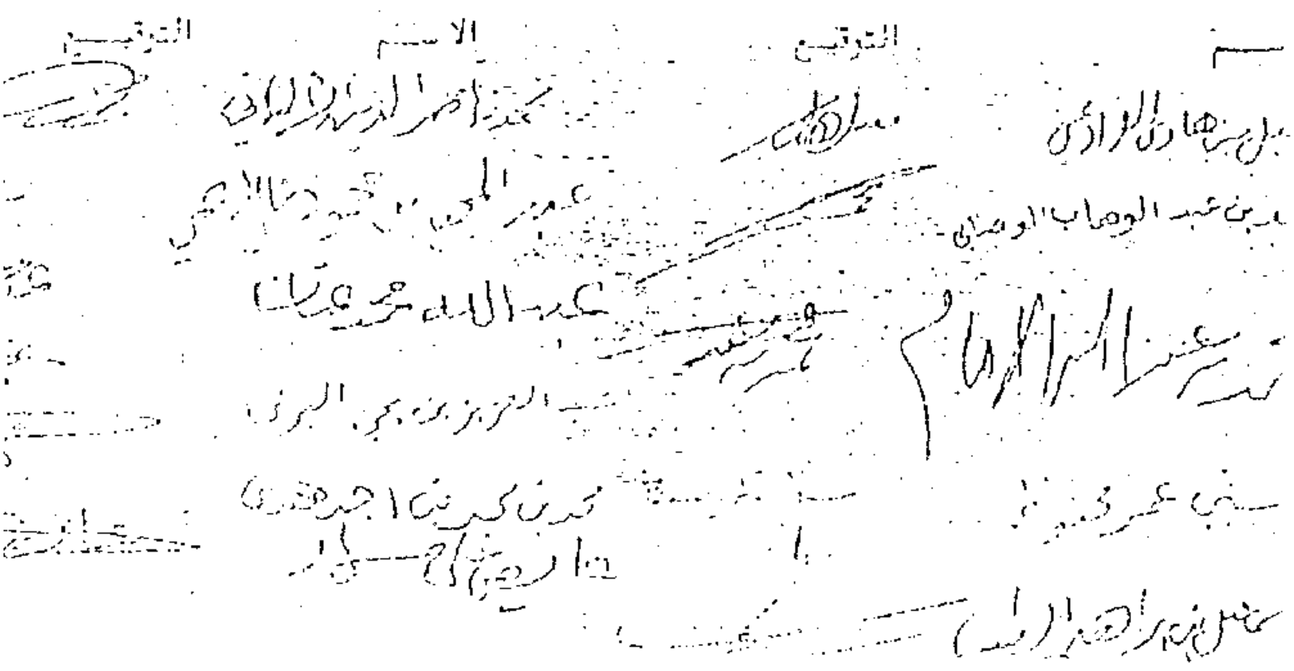
PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلماء يتكلَّم باسم الإسلام وعلماءِ اليمن في مسائل تبنَّتها بعض الأحزاب الإسلاميَّة، وأرادَت بذلك أن تُعطيها الصِّفة الشَّرعيَّة في توجيهها السِّياسي على رُغمِ ما فيه من تناقُضات وأخطاء شرعيَّة علماً بأنَّهم لا يُمثِّلونَ إلَّا أنفسهم وحزبهم الذي ينتمونَ إليه، والعبرةُ إنَّما هي بالدَّليلِ لا بالكثرةِ والقال والقيل .

وصلَّى اللَّه على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبِهِ أجمعين .

والحمد للَّه ربِّ العالمين .

صدرت هذه الفتوى من بعض علماء أهل السنَّة والجماعة إلى عموم المسلمين، وها هي توقيعاتهم :



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحذير البريَّة من عبادة الأصنام البشريَّة

محمد موسى نصر

قال تعالى : ﴿ وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتَكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً[1] ولا سُواعاً ولا يغوثَ ويَعوقَ ونَسراً ﴾ [نوح:٢٣] .

وقد ذكر ابنُ عبَّاس رضي اللَّه عنه : « أنَّ هذه الأسماء كانت لرجال صالحين من قوم نوح، وأنَّهم لما ماتوا سوَّل الشَّيطان لقومهم، وزيَّن لهم أن ينصبوا لهم صوراً، ويسمُّوها بأسمائهم حتى ينشطوا في العبادة إذا رأوهم ! ولم يعبدوهم آنذاك، حتى هلك أولئك القوم - الذين نصبوا تلك الأنصاب - وعمَّ الجهلُ فيمن خَلَفَهُم: عبدوهم من دون اللَّه تعالى »[2].

وقد أخرج البخاري في « صحيحه »[3] عن ابن عبَّاس قال : « صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بَعدُ :

وأما وَدّ : فكانت لكلب في دوِمة الجندل .

وأمَّا سُواع : فكانت لِهُذيل .

وأمَّا يَغوث : فكان لمِراد، ثمَّ لبني غطيف بالجرف عند سبأ .

وأمَّا يَعوق : فكانت لهمدان .

---

(١) قرأ أبو جعفر ونافع : « وُدّاً » بضم الواو والباقونَ من العشرة بفتحها .

(٢) « تفسير ابن عبَّاس ومرويَّاته من كتب السنَّة » (٢ / ٩١١) تأليف الدكتور عبدالعزيز الحميدي .

(٣) « صحيح البخاري » برقم (٤٩٢٠) كتاب التَّفسير : سورة نوح عليه السَّلام .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأمَّا نَسْر : فكانت لِحِمْيَر، لآل ذي الكَلاع » .

قلت : وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وقد أضلوا كثيراً ﴾ قولان للعلماء :

أحدهما : وقد أضلَّت الأصنام كثيراً من النَّاس، أي : ضلوا بسببها .

الثَّاني : وقد أضلَّ الكبراء كثيراً من النَّاس .

قلت : وهذا واقع مشاهد؛ فكم فُتن النَّاسُ بأكابر مجرميها؛ فعظَّموهم أكثر من تعظيمهم للَّه، وعبدوهم من دون اللَّه؛ فقد زيَّنوا لهم الباطل، فشايعوهم عليه، وجعلوه دينهم وديدنهم تبعاً لأصنامهم البشريَّة الطَّاغوتيَّة، ورُفعت تماثيلُهم وأصنامُهم فوق الرُّؤوس ! فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعون .

فانظر - رحمك اللَّه - كيف آل الجهلُ بالنَّاس فألقاهم في حمأة الشِّرك ومستنقعه الآسن بعد أن استمرُّوا على التَّوحيد قرابة الألف عام، فلمَّا عبدوا هذه الأصنام الحجريَّة التي هي رموز لهؤلاء الصَّالحين عمَّ الشِّركُ والخرافةُ الأرضَ، فأرسل اللَّه أوَّل رسول إلى الأرض نوحاً عليه السَّلام، يُجَدِّدُ ما اندرس من التَّوحيد، ويجتثُّ الشرك من جذوره ويقتلع الطَّاغوت من أساسه، ولما أُشربت القلوبُ حبَّ هذه الاصنام وعبادة الطَّاغوت لم يُؤمن مع نوح إلَّا قليل، كما قال تعالى : ﴿ ربِّ إنِّي دَعَوتُ قَومي لَيلاً ونَهاراً فَلَم يَزِدهُم دُعائي إلَّا فِراراً ﴾، إلى قوله تعالى : ﴿ ... وقال نوحٌ ربِّ لا تَذَر على الأرضِ مِنَ الكافِرينَ دَيَّاراً إنَّكَ إن تَذَرهُم يُضِلُّوا عِبادَكَ ولا يَلِدُوا إلَّا فاجِراً كفَّاراً ﴾ [نوح:٥،٦ - ٢٥،٢٦] .

وقد أُوحي إليه من قبل : ﴿ وأُوحي إلى نوحٍ أنَّه لن يؤمنَ من قومك إلَّا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴾ [هود:٣٦] .

□ لا يلزم أن تكون الأصنام حجريَّة فحسب :

يُخطئ كثير من النَّاس بله الدُّعاة حينما يظنُّونَ أنَّ الشَّرائع جاءت تنهى عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبادة الأصنام الحجريَّة فحسب !

أمَّا الأصنام البشريَّة فليست داخلة في النَّهي والتَّحذير، ومن اعتقد ذلك فليسَ يحمل من العلم مِثقالَ قِطمير ولا نَقِير، فإنَّ القرآن حذَّر من الأصنام البشريَّة أشدَّ من الأصنام الحجريَّة؛ كيف والأصنام البشرية أصل الشِّرك في الأوثانِ الحَجرية ؟! .

حينما دخل النَّبي ﷺ مكَّة فاتحاً حطَّم الأصنام الحجريَّة التي كانت تعبدها العرب وتعظِّمها حول الكعبة، وحطَّم بنصر اللَّه له كلَّ الأصنام البشريَّة التي اتخذت نِدّاً من دون اللَّه تشرع للنَّاس ما لم يأذن به اللَّه من طقوس الجاهليَّة الجهلاء، وقد قال رسول اللَّه ﷺ لعليٍّ رضي اللَّه عنه : « لا تدع تمثالاً إلَّا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلَّا سوَّيته »(١).

حتى لا تُعبد هذه الأصنام والأوثان من دون اللَّه .

□ الفرق بين الصَّنم والوثن :

قال العلماء : الصَّنم ما نحت على صورة إنسان أو حيوان؛ كأصنام الجاهليَّة، وعجل بني إسرائيل، والجندي المجهول - زعموا - في زماننا !!

والوثن : ما ليس له صورة كالقبر والصَّخرة والشَّجرة ونحو ذلك .

والنَّاس قد فتنوا قديماً بالأصنام والأوثان، وحديثاً - أيضاً - ولكن بأصنام بشريَّة تمشي على الأرض عليها الطيلسان والهيلمان .

والأنبياء حذروا من ذلك أشدَّ تحذير، فهذا موسى عليه السَّلام يأخذ بلحية أخيه يجرُّه إليه لمَّا عبد بنو إسرائيل العجل : ﴿ قالَ يا هارونُ ما منعكَ إذ رأيتَهُم ضَلُّوا ألَّا تَتَّبِعَنِ أفَعَصَيتَ أمرِي قالَ يا ابنَ أُمَّ لا تأخُذْ بِلِحيَتِي وَلا بِرَأسي إنِّي خَشِيتُ أن تقولَ فرَّقتَ بينَ بني إسرائيلَ ولمْ ترقُب قَولي ﴾ [طه:٩٢،٩٤] .

(١) رواه مسلمٌ عن عليٍّ رضي اللَّه عنه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا إبراهيم عليه السَّلام يشكو إلى ربِّه فتنة الأصنام فيقول : ﴿ واجنبني وَبَنِيَّ أن نعبُدَ الأصنامَ ربِّ إنَّهنَّ أضلَلن كثيراً من النَّاس ﴾ [إبراهيم:٣٥،٣٦] ولم يقر له قرار، ولم يهدأ له بال حتى حطَّم تلكم الأصنام كلَّها .

ولم يكتف عليه السَّلام بتحطيم الأصنام الحجريَّة حتى حطَّم أكبر صنم بشري في زمانه وهو « نمرود » الذي نازع اللَّه ربوبيَّته حينما قال - فيما حكى اللَّه عنه - : ﴿ أنا أُحْيِي وأُمِيتُ قال إبراهيمُ فإنَّ اللَّه يَأْتِي بالشَّمسِ من المشرق فَأْتِ بِهَا مِن المَغرِب فَبُهِتَ الذي كفرَ واللَّهُ لا يَهدِي القَومَ الظَّالمين ﴾ [البقرة:٢٥٨] .

ومن بعده موسى عليه السَّلام حطَّم صنماً بشريًّا طاغوتيّاً زعم أنَّه ربّ بني إسرائيل الأعلى الذي يجب عليهم ألَّا يتَّخذوا إلهاً غيره، فقال فيما حكى اللَّه عنه : ﴿ أنا ربُّكم الأعلى ﴾ وقال : ﴿ ما علمتُ لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامانُ على الطِّين فاجعَل لي صرحاً لعلي أطَّلِعُ إلى إلهِ موسى وإنِّي لأظنُّه منَ الكاذبين ﴾ [القصص:٣٨] .

وبينْ قولِه الأوَّلِ في دعواه الرُّبوبيَّة وقولِه الثَّاني في دعواه الألوهيَّةَ زمانٌ لم يُمهله اللَّهُ بعدَه شيئاً، فأخذه اللَّهُ أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ، فجعله اللَّه نكالَ الآخرة والأولى، وعبرة لكلِّ فراعنة الأرض من الأصنام البشريَّة التي تُعبد من دون اللَّه، وهكذا يفعل اللَّه بكل من نازعه في كبريائه وعظمته .

وفي الحديث القدسي : « العظمة إزاري والكبرياء ردائي ومن نازعني فيهما عذَّبته »[1].

ومن مظاهر العبوديَّة لغير اللَّه: القيام على رؤوس العظماء والكبراء، والانحناء لهم، ورجوع القهقرى إذا انصرفوا من عندهم، والغلوُّ في مدحهم وطاعتهم في معصية اللَّه، وتقديم طاعتهم على طاعة اللَّه، وتقديم القرابين تعظيماً لهم ونفاقاً،

(١) رواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة، انظر « الصحيحة » (رقم:٥٤١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتَّحاكم إلى ما شرعوا لهم من نُظُم ودساتير تخالف شريعة القرآن وتصادم سنَّة سيِّد الأنام، والوقوف بين أيديهم خاشعين لا يتحرَّكون، بل لا يرمشون، كأنَّ على رُؤوسهم الطَّير : ﴿ أم لَهُم شُرَكاءُ شَرَعُوا لهم من الدِّينِ ما لَم يأذن بِهِ اللَّهُ ﴾ .

وإذا كان أهلُ العلم قد عَدّوا من أطاع العلماء في اجتهاداتهم الخاطئة التي خالفوا فيها الشَّريعةَ السَّمحةَ - بَعدَ تبيُّن خَطئها - قد اتَّخذوهم أرباباً، فكيف الشَّأن فيمن أطاعَ طواغيت الأرض الذين لا يُحَكِّمُونَ شرعَ اللَّه، ويسعون لإطفاء نور اللَّه ﴿ وقالوا ربَّنا إنَّا أطعنا سادَتنا وكُبراءَنا فأضلُّونا السَّبيلا ربَّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾[1] [الأحزاب:٦٧،٦٨] .

فمن كان هذا شأنه حُشر مع أصنامه وأوثانه جميعاً ﴿ فَكُبكِبوا فِيها هُم والغاوون وجنودُ إبليسَ أجمعونَ قالوا وهم فيها يَختَصِمون تاللَّه إن كنَّا لفي ضلالٍ مُبين إذ نُسَوِّيكُم بربِّ العالَمين ﴾ [الشعراء:٩٤-٩٨]، ﴿ وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا ربَّنا أَرِنا الَّذَينِ أضلَّانا مِن الجنِّ والإنسِ نَجعلهما تحتَ أقدامِنا ليكونا من الأسفَلين ﴾ [فصلت:٢٩] .

قلت : فَعلَ اللَّهُ بهم ذلك جزاءَ تكبُّرهِم وتغطرُسِهم وبَطَرِهم يُجازيهم اللَّهُ هذا الجزاءَ تبكيتاً لهم وحسرة وندامة؛ كيف وقد ثبت في السنَّة الصَّحيحة[2] أنَّهم يُحشرون على أمثال الذرِّ في صور الرجال يطؤهم النَّاس بإقدامهم جزاءً وفاقاً !

فهل يُدرِكونَ ؟ وهل يعون ؟ فيتداركوا أنفسهم قبل فوات الأوان !

نعوذ باللَّه من مصيرهم ومنقلبهم ﴿ وَسَيَعلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ .

---

(١) قرأ عاصم وحده بالباء، وقرأ التِّسعة من القراء العشرة ﴿ كثيراً ﴾ بالثاء .

(٢) كما رواه الترمذي وأحمد، وانظر « صحيح الجامع » (٨٠٤٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من هي الطائفة المنصورة ؟

سليم بن عيد الهلالي

كانت الفُرقةُ وفتنةُ الأهواء التي بيَّنَ رسولُ اللَّه ﷺ أخبارَها، وحدَّد أسبابَها، وأرشد إلى علاجها أعظمَ ما ابتلُيت به الأمَّةُ الإسلاميَّةُ والملَّةُ المحمَّديَّة، فتقطَّعت الأمَّة أمماً، وأضحت الملَّة شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون؛ فكثرت النِّحل، وتعادى المسلمون فيما بينهم .

وهذه الفِرَقُ التي ضلَّت أشاعت الوَهَنَ، وفتحت للأعداء الأبواب، وأرشدتهم على الثَّغرات، فقوَّضت أركانَ وحدة الأمَّة الإسلاميَّة وقوَّتها .

ولكنَّ اللَّه أبى إلَّا حفظ دينه وإتمام نوره؛ فغرس غرساً وصنعهم على عينه واستعملهم بطاعته فامتشقوا حسام العلم، وتسنَّموا غارب الحق، لينفوا عن الدِّين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فأمعنوا في حجج الباطل وشبهاته وأعوانه نحراً وتقتيلاً ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلاً ﴾ .

ولما كثر المدَّعون طولبوا بإقامة البيِّنة على صحَّة دعواهم، فتنوَّع المدَّعون بالشُّهود، فقيل لهم : لا تقام البيِّنة، ولا تثبت الدَّعوى، ولا يصح البرهان إلَّا بشهادة : « ما أنا عليه وأصحابي » .

فتأخَّرت الخلائق كلها، وثبَّت اللَّه إخوان رسول اللَّه ﷺ الذين درجوا على أثره في سائر شؤونهم : العقيدة والسلوك والتَّربية والعبادة والدَّعوة والسياسة، وفهموا الوحيين الكتاب والسنَّة بفهم سلف الأمَّة : الصَّحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والكلامُ في الطَّائفةُ المنصورةِ وعليها مِن وجوهٍ :

أوَّلاً : الأحاديث النَّبويَّة في النَّهي عن افتراق الأمَّة الإسلاميَّة :

١ – عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسولُ اللّه ﷺ :

« افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرَّقت النَّصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة » .

أخرجه أصحاب « السُّنن » عدا النَّسائي بإسنادٍ حسن .

وفي الباب عن جماعة مِن الصَّحابةِ، مِن ذلك :

أ – عن معاوية رضي اللّه عنه، وفي حديثه زيادة : « وإنَّه سيخرج من أمَّتي قوم تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، لا يبقى منه عِرق ولا مِفصَل إلَّا دخله » .

أخرجه أبو داود وغيره بإسناد حسن .

ب – عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه، وفي حديثه زيادة : « كلها في النَّار إلَّا واحدة، وهي الجماعة » .

قلت : وله عنه طرق لا تخلو من مقال، ولكنَّها بمجموعها تتقوَّى ويصبح الحديثُ حسناً .

ت – عن عوف بن مالك رضي اللّه عنه وفيه زيادة نحو حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه .

أخرجَهُ ابنُ ماجَه وغيرُه، بإسنادٍ حسنٍ .

ث – عن أبي أُمامة الباهلي رضي اللّه عنه في قصَّة طويلة وفيه زيادة : « السَّواد الأعظم » .

أخرجه اللَّالكائي وابن أبي عاصم وغيرهما، وسنده حسن .

جـ – عن سعدِ بن أبي وقَّاص رضي اللّه عنه وفيه زيادة نحو حديث أنس بن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مالك رضي اللّٰه عنه .

وسنده فيه ضعف .

جـ - حديث عبداللّٰه بن عمرو بن العاص رضي اللّٰه عنهما وفيه زيادة : « ما أنا عليه اليومَ وأصحابي » .

وهو حسن بشواهده كما بينته في رسالتي « درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب » .

وفي الباب عن عمرو بن عوف المزني، وأبي الدَّرداء، وأبي أُمامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك - مجتمعين في حديثٍ واحدٍ !! - وهي ضعيفة جدًّا؛ فلا يُلتفت إليها .

ومن هذه الأحاديث جاء وصف الفرقة الباقية على الأصل التي عضَّت على السنَّة بنواجذها بـ « النَّاجية »؛ لأنَّها نجت من الخلاف، وستنجو - بإذن اللّٰه - من النَّار .

ثانياً : أحاديث الطَّائفة المنصورة :

أ - عن معاوية رضي اللّٰه عنه قال : سمعت النَّبي ﷺ يقول :

« لا يزال من أُمَّتي أمَّةٌ قائمة بأمر اللّٰه لا يضرُّهم من خَذَلهم، ولا من خالَفَهم حتى يأتي أمرُ اللّٰه وهم على ذلك » .

قال عُمير - أحد رواة الحديث - : قال مالك بن يَخَامِر : قال معاذ : « وهم بالشَّام » .

فقال معاوية : هذا مالكٌ يزعم أنَّه سمع معاذ بن جبل يقول : هم بالشَّام .

أخرجه الشَّيخان، وللحديث ثماني طرق عن معاوية .

٢ - حديث المغيرة بن شعبة رضي اللّٰه عنه بلفظ :

« لا يزال النَّاس من أُمَّتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر اللّٰه وهم كذلك » .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخرجه الشيخان .

٣ - حديث عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه بلفظ :

« لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق حتى تقوم السَّاعة » .

أخرجه الحاكم وغيره بإسناد على شرط الشيخين .

٤ - حديث ثوبان رضي اللَّه عنه بلفظ :

« لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم كذلك » .

أخرجه مسلم .

٥ - حديث عِمران بن حُصين رضي اللَّه عنهما بلفظ :

« لا تزال طائفةٌ من أمَّتي يُقاتلونَ على الحق ظاهرينَ على من ناوأهم حتى يقاتل آخرُهم المسيحَ الدَّجال » .

أخرجه أبو داود وأحمد وغيرهما بإسناد صحيح على شرط الستة .

٦ - حديث جابر بن عبداللَّه رضي اللَّه عنهما بلفظ :

« لا تزال طائفة من أمَّتي يقاتلونَ على الحق إلى يوم القيامة، قال : فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم : تعال صلِّ لنا، فيقول : لا إنَّ بعضكم على بعض أمير؛ تَكْرِمَةَ اللَّه عزَّ وجل لهذه الأمَّة » .

أخرجه مسلم .

٧ - حديث سلمةَ بن نُفَيل رضي اللَّه عنه بلفظ :

« الآن جاء القتال؛ لا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على النَّاس يرفع اللَّهُ قلوبَ أقوام فيقاتلونهم ويرزقُهم اللَّه عزَّ وجل وهم على ذلك، ألا إنَّ عقر دار المؤمنين بالشَّام والخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

أخرجه أحمد والنَّسائي بإسناد صحيح على شرط مسلم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٨ و ٩ - حديث عبدالله بن عمرو وعُقبة بن عامر رضي الله عنهم بلفظ :

« لا تزال عصابةٌ من أمَّتي يقاتلونَ على أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم السَّاعة وهم على ذلك » .

أخرجه مسلم .

١٠ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ :

« لا تزال طائفة من أُمَّتي قوَّامةً على أمر الله لا يضرُّها من خالفها » .

١١ - حديث قُرَّة رضي الله عنه بلفظ :

« إذا فسد أهلُ الشَّام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمَّتي منصورين لا يضرُّهم من خالفهم حتى تقوم السَّاعة » .

أخرجه الترمذي وابن ماجه بإسناد على شرط الشيخين .

١٢ - حديث جابر بن سَمُرة رضي الله عنه بلفظ :

« لن يبرحَ هذا الدينُ قائماً يقاتلُ عليه عصابةٌ من المسلمين حتى تقوم السَّاعة » .

أخرجه مسلم .

١٣ - حديث سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه بلفظين :

الأوَّل : « ولا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على الدين عزيزةً إلى يوم القيامة » .

أخرجه اللَّالكائي .

الثَّاني : « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحقِّ حتى تقومَ السَّاعة » .

أخرجه مسلم .

١٤ - حديث أبي عِنَبَةَ الخَوْلاني رضي الله عنه بلفظ :

« لا يزال اللَّهُ يغرس في هذا الدِّين غرساً يستعملُهم في طاعته إلى يوم القيامة ».

أخرجه ابن ماجه وغيره بإسناد حسن .

وفي البابِ عن غيرهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى الجُملة فأحاديثُ الطَّائفة المنصورة متواترةٌ كما نصَّ على ذلك جماعةٌ مِن أهلِ العلم؛ منهم شيخ الإسلام ابن تيمية في « اقتضاء الصِّراط المستقيم » (ص:٦)، والسيوطي في « الأزهار المتناثرة »، والزَّبيدي في « لقط اللآلئ المتناثرة » (ص:٦٨)، والكَتَّاني في « نظم المتناثر » (٩٣)، وشيخنا الألباني حفظه اللَّه في « صلاة العيدين » (ص:٣٩-٤٠)؛ وغيرهم .

ومن هذه الأحاديث جاء وصف الطَّائفة بـ « الظَّاهرة على الحق » الثَّابتة عليه و « المنصورة »؛ لأنَّ اللَّه يكلؤها برعايته، ويصنعها على عينه حتى يأتي أمره وهم كذلك .

ثالثاً : أوصاف الفرقة النَّاجية والطَّائفة المنصورة هل بينها تعارض وتغاير ؟

وردت الأخبارُ الصَّحيحةُ عن رسول اللَّه ﷺ بتعيين أوصاف الفرقة النَّاجية والطائفة المنصورة منهجاً وحالاً، وسنتكلَّم في هذا المقال عن المنهج :

أمَّا المنهج فقد وردت ثلاثةُ ألفاظ بتحديد ملامحه :

١ - « ما أنا عليه وأصحابي » كما في حديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما .

٢ - « الجماعة » كما في حديث أنس وسعد رضي اللَّه عنهما .

٣ - « السَّواد الأعظم » كما في حديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه .

وهذه الألفاظ النَّبويَّة الصَّحيحة تتفق ولا تفترق، وتأتلف ولا تختلف، وتجتمع ولا تمتنع كما بيَّن ذلك الآجُرِّي رحمه اللَّه في كتابه المستطاب « الشَّريعة » (ص:١٤-١٥) فقال :

« ثمَّ إنَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه سُئلَ : مَن النَّاجية ؟ فقال عليه الصَّلاة والسَّلام في حديث : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » وفي حديث : « السَّواد الأعظم » وفي حديث : « واحدة في الجنَّة وهي الجماعة » .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلتُ أنا - القائل الآجُرّي - : ومعانيها واحدةٌ إن شاء الله » .

قال راقم هذه الحروف : **صدق وبر، فالأمر كما قال :**

هذه الطّائفة المنصورة هي الجماعة؛ لأنَّ الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك، كما عَرَّفها الصّحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

عن عَمرو بن ميمون الأَوْدي رحمه الله قال :

قَدِمَ علينا معاذُ بن جبل على عهد رسول الله ﷺ فوقع حُبُّه في قلبي، فلزمتُه حتى واريته في التُّراب بالشَّام ثمَّ لزمتُ أفقه النَّاس بعده عبدالله بن مسعود فذكرَ يوماً عنده تأخير الصَّلاة عن وقتها فقال :

صلوا في بيوتكم واجعلوا صلاتكم معهم سُبحَةً .

قال عَمرو بن ميمون : فقيل لعبدالله بن مسعود : وكيف لنا بالجماعة ؟

فقال لي : يا عَمرو بن ميمون إنَّ جمهور الجماعة هي التي تفارقُ الجماعة إنَّما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك[1].

وقد نقله العلامة أبو شامة في كتابه المستطاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » (ص ٢٢) محتجّاً به على قوله :

« وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمرادُ به لزومُ الحقِّ واتِّباعُه وإن كان المتمسّك به قليلاً والمخالف كثيراً؛ لأنَّ الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النَّبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ولا نظر إلى كثرةِ أهل الباطل بعدهم (وذكره) » .

واستحسن هذا الكلامَ العلّامةُ ابن قيم الجوزية في كتابه الفذ « إغاثة اللّهفان من

(١) أخرجه اللّالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة » (١٦٠)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢/٣٢٢/١٣)؛ وصحح إسناده شيخنا الألباني في « مشكاة المصابيح » (٦١/١) وهو كما قال .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصائد الشيطان » (٦٩/١) فقال :

« وما أحسنَ ما قال أبو محمد بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتابه « الحوادث والبدع » (وذكره) » .

قلت : لقد تبيَّن لذي عينين أنَّ الجماعة هي من وافق الحق ولو كان وحده، وهذه الطَّائفةُ المنصورةُ وُصفت في أحاديث الرَّسول ﷺ بأنَّها ظاهرةٌ على الحق، وكذلك لفظ الطَّائفة يقع على الواحد فما فوق في لغة العرب .

قال أديب الفقهاء وفقيه الأدباء ابن قتيبة الدِّينَوَري في كتابه النَّافع الطيِّب « تأويل مختلف الحديث » (ص:٤٥) :

« قالوا : وأقل ما تكون الطَّائفة ثلاثة ! وغلطوا في هذا القول لأنَّ الطَّائفة تكون واحداً وثلاثاً وأكثر لأنَّ الطَّائفة بمعنى القطعة والواحد، وقد يكون قطعة من القوم، وقال اللَّه تعالى : ﴿ وَلْيَشْهَد عذابَهُما طائفةٌ من المؤمنين ﴾ يريد الواحدَ والإثنين » أ . هـ .

قلت : وهذا ما اتَّفق عليه أئمَّة اللُّغة والدين كما بينته في كتابي « الأدلَّة والشَّواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد » (٢٣/١) .

فلا جَرمَ أن تكون هذه الطَّائفةُ المنصورةُ هي الجماعة .

وهي السَّواد الأعظم لأنَّها الجماعة .

قال ابن حبان في « صحيحه » (٤٤/٨) :

« الأمر بالجماعة بلفظ العموم والمراد منه الخاص؛ لأنَّ الجماعة هي إجماع أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فمن لزم ما كانوا عليه وشذَّ عمَّن بعدهم لم يكن بشاقٍّ للجماعة ولا مفارقٍ لها، ومن شذَّ عنهم وتبع من بعدهم كان شاقّاً للجماعة، والجماعة بعد الصَّحابة هم أقوامٌ اجتمع فيهم الدين والعقل والعلم ولزموا ترك الهوى فيما هم فيه وإن قلَّت أعدادهم لا أوباش النَّاس ورعاعهم وإن كثروا » .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال إسحاق بن راهويه :

« لو سألت الجُهّال عن السّواد الأعظم لقالوا : جماعة النّاس، ولا يعلمون أنَّ جماعةَ عالمٌ متمسّك بأثر النّبي ﷺ وطريقه فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة »[1].

قال الإمام الشّاطبي في كتابه القيم « الاعتصام » (٢٦٧/٢) مؤكّداً هذا الفهمَ السُّنّيّ الصّحيحَ :

« فانظر حكايته تتبيّن غلط من ظنَّ أنَّ الجماعةُ هي جماعةُ النّاس وإن لم يكن فيهم عالم وهو فهَمُ العوام لا فهم العلماء، فَلْيثَبّت الموفقُ في هذه المزلّة قدمَه لئلّا يضلَّ عن سواء السّبيل، ولا توفيق إلّا باللّه » أ . هـ

قلت : تدبَّر أيُّها الأخ هذه الكلماتِ الغالياتِ واحفظها؛ فإنَّها تُزيل عنك إشكالاتٍ أوجبها حملُ أحاديث رسول اللّه ﷺ المتقدّمة في التّفرّق على وهم العامّة، وتوهمِ أنصافِ الفقهاء، وتدحض شبهات أثارها دعاة الفرق الضالّة الذين ردوا هذه الأحاديث بدعوى أنّها تخالف الواقع حيث تحكم على جماهير الأُمّة الإسلاميّة بدخول النّار ظنّاً منهم أنَّ جماهير الأُمّة الإسلاميّة يَدِينون ببدعهم وضلالاتهم، وما فطنوا أنَّ جماهير الأمّة الإسلاميّة تجذبُهم الفطرةُ السّليمةُ إلى العقيدة الصّحيحة - إن شاء اللّه - ولذلك تمنّى رؤوسُهم أن يموتوا على دين العجائز .

ولا شكَّ أنَّ هذه الطّائفةَ المنصورةَ هي على ما كان عليه النّبي وأصحابه لأنّها على الحق، والحقُّ هو ما كان عليه النّبي وأصحابه؛ فمن بقي على ما كانت عليه الجماعة قبل التّفرّق وإن كان وحده، فإنّه حينئذ هو الجماعة .

ولقد بحثنا في الفرق قديماً وحديثاً فلم نجد أحداً اجتمعَ على موافقة رسول اللّه ﷺ وأصحابه إلّا أهلَ الحديثِ وأتباعِ السّلف؛ فإنّهم على قَدَم رسولِ اللّه ﷺ وأصحابه رضي اللّه عنهم - عقيدة وسلوكاً وتربية ودعوة وسياسة - سائرون وبهذا

(١) أخرجه أبو نُعيم في « حلية الأولياء » (٢٣٩/٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تتَّضح معالم منهج الفرقة النَّاجية والطَّائفة المنصورة أنَّه : **الكتاب والسنَّة بفهم سلف الأمَّة**؛ محمَّد والذين معه ومن اتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وأنَّه **دعوةٌ إلى توحيد الأمَّة** على هذا الفهم لأنَّه اعتصام بحبل اللَّه، وأنَّه هو **المؤهَّل لإعادة مجد هذه الأمَّة المفقودة** وتحقيق أملها المنشود، لأنَّه **الدينُ المؤسَّسُ على الفطرة**، واللَّهُ بالغِ أمرِهِ .

كلماتٌ مُضيئةٌ

○ قال الزاهدُ القدوةُ حاتمٌ الأصمُّ - يرحمهُ اللَّه - : تَعاهَدْ نَفسَكَ في ثلاثٍ :

إذا عملتَ؛ فاذْكُر نَظرَ اللَّهِ إليكَ .

وإذا تكلَّمتَ؛ فاذْكُر سَمعَ اللَّهِ منكَ .

وإذا سكتَّ؛ فاذْكُر علمَ اللَّهِ فيكَ .

○ وقال رحمه اللَّه :

أَفرَحُ إذا أصابَ مَن ناظَرني، وأحزَنُ إذا أخطأَ .

○ قال الإمامُ أحمد بن حَرْب : عبدتُ اللَّهَ خمسينَ سنةً؛ فما وجدتُ حلاوةَ العبادةِ حتى تركتُ ثلاثةَ أشياءَ :

تركتُ رضى النَّاسِ؛ حتى قَدَرْتُ أن أتكلَّم بالحقِّ .

وتركتُ صُحبةَ الفاسقين؛ حتى وجدتُ صُحبةَ الصَّالحين .

وتركتُ حلاوةَ الدّنيا؛ حتى وجدتُ حلاوةَ الآخرةِ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيخ الإسلام ابن تيميّة والتَّتار

علي بن حسن

قليلةٌ هيَ المواقف التي تَطبَعُ بَصَماتِها بجلاءٍ ونصاعةٍ في سِجلِّ التَّاريخ، فهي ذكرى وعبرةٌ وحافزٌ ودافعٌ لكل من يطَّلع عليها أو ينظر إليها .

ومن هذه المواقفِ الجليلةِ ننتقي - اليومَ - موقفاً كريماً رشيداً، لتذكير أبناء العصر، ومثقَّفي الأمَّة، وربطهم بأصالة أجدادهم وأمجاد آبائهم لينفضوا غُبارَ الغفلَة عن عقولهم؛ فيكونوا خير خلَف لخيرِ سلف :

شيخ الإسلام ابن تيميّة المتوفى سنة (٧٢٨هـ) رحمه اللَّه .

عاش هذا الإمامُ الجِهبِذُ فترةً عصيبةً هي فترةٌ من أصعب وأعصى فترات تاريخنا الإسلامي بطولِهِ وعرضِهِ، فاضطربت مفاهيمُ النَّاس، واختلَّت موازينُهم، وانقلبت حقائقُهم، ودخلت الشَّوائبُ دينَهم، وهاجمهم الغُزاةُ والمُعتدون في سُويداء بلادهم .

فوقف لهذه الصِّعاب جِلَّةٌ من أهل الدِّين والعلم، على رأسهم مُقَدَّمُهم وإمامُ عصرهم شيخُ الإسلام وعَلَمُ الأعلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيميَّةَ النُّميري رحمه اللَّه تعالى رحمة واسعة، فواجهها برباطةِ جأشٍ، وثباتِ قلبٍ، وصدقِ عزيمةٍ، وحُسن توجُّهٍ إلى اللَّه سبحانه .

وسنذكر له - رحمه اللَّه - موقفاً خَفِي على الكثير مِمَّن عرفه رحمه اللَّه،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو سمع به، أو قرأ له، وهذا الموقفُ يتمثَّلُ في تلك الوقفةِ الجهاديَّةِ المباركةِ التي خاضها رحمه اللَّه ضدَّ أعداء الأمَّة الإسلاميَّة من التَّتارِ الذين أَقْصَوا كتاب اللَّه سبحانه وتعالى واستبدلوه بمناهجَ رقَّعوها من عند أنفسهم سمَّوها « الياسق » كما ذكره الإمام ابن كثير في « تاريخه »[1] !

لقد تمثَّلت في هذا الموقفِ أعظمُ صور التَّضحيةِ والفِداء المنبثقةِ من العقيدة الصَّحيحة والمنهاجِ القويم، ولم يأت هذا الموقفُ العظيمُ عَفوَ الخاطر، ولم يصدر عن فراغ، إنَّما جاء بعد حياةٍ مُفعَمةٍ بالصَّبر ومليئةٍ بالعلم والدَّعوة .

في أحد أيَّام شهر رمضان المبارك من سنة (٧٠١هـ) كانت معركة « شقحب » المشهورة، وقبل ذلك بأيَّام كانت بداية شرارتها، إذ وقف شيخ الإسلام ابن تيمية يَحلِفُ للأُمراء والنَّاس : إنَّكم في هذه الكرَّة لمنصورون، فيقول له الأمراء : قل إن شاء اللَّه، فيقول : إن شاء اللَّه تحقيقاً لا تعليقاً .

قال الإمامُ ابنُ كثير - في « البداية والنهاية » (١٤/٢٥-٢٦) - مُعلِّقاً على هذا : وكان يتأوَّل في ذلك أشياء من كتاب اللَّه، منها قوله تعالى : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقِب به ثمَّ بُغِيَ عليه لينصرنَّه اللَّه إنَّ اللَّه لعفوٌّ غفور ﴾ .

ثمَّ قال ابنُ تيمية بعد ذلك لأحد أصحابه : يا فُلان، أوقفني موقف الموت .

فساقَهُ صاحبهُ إلى مُقابلةِ العدو، وهم مُنحدرونَ كالسَّيل، تلوحُ أسلحتُهم من تحت الغبار المنعقد عليهم .

ثمَّ قال له : يا سيِّدي، هذا موقفُ الموت، وهذا العدوُّ قد أقبل تحت

---

(١) « البداية والنهاية » (١٣/١١٧) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الغبرة المنعقدة، فدونك وما تُريد .

فرفع ابن تيمية طرفه إلى السَّماء، وأشخص بصره، وحرَّك شفتيه طويلاً، ثمَّ انبعثَ وأقدم على القتال .

قال صاحبه : وأمَّا أنا فَخُيِّلَ إليَّ أنَّه دعا عليهم، وأنَّ دُعاءه استُجيب منه في تلك السَّاعة .

وقال : ثمَّ حالَ القتال بيننا والالتحام، وما عُدت رأيتُه، حتى فتح اللَّه ونَصَرَ، وانحازَ التَّتار إلى جبل صغير، عصموا نُفوسهم به مِن سيوف المسلمين تلك السَّاعة، وكان ذلك آخر النَّهار .

قال صاحبه : وإذا أنا بالشيخ وأخيه - وكان معه - يَصِيحان بأعلى صَوتَيهِما تحريضاً على القتال، وتخويفاً للنَّاس مِن الفرار، فقلت : يا سيِّدي ! لك البشارة بالنَّصر، فإنَّه قد فتح اللَّهُ ونصر، وها هم التَّتار مَحصُورنَ بهذا السَّفح، وفي غدٍ إن شاء اللَّه يُؤخذونَ عن آخِرهم .

قال : ثمَّ رأيتُ الشَّيخ يحمد اللَّه تعالى، ويُثني عليه بما هو أهلُه، ثمَّ دعا لي في ذلك الموطنِ دُعاءً وجدتُ بركته في ذلك الوقت وبعده .

هذه صورةٌ جهاديَّةٌ مَجيدة ينبغي تأمُّلُها وإدامةُ النَّظر فيها، وإعمالُ الفكر في دوافعها وثمارها لنأخذ منها العبرة، ونسير حِذاءَها حتى يفتحَ اللَّه سبحانه بالفلاح، ويأذن بالنَّصر؛ دون تعجُّلٍ مُفسِدٍ، ولا مُواجهةٍ نُجَرُّ إليها !

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الذينَ آمنوا منكم وعمِلوا الصَّالحات لَيَستَخلِفَنَّهم في الأرضِ كما استخلفَ الَّذينَ من قبلِهم وليُمَكِّنَنَّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم ولَيُبَدِّلَنَّهم مِن بعد خَوفِهم أمناً يعبدونني لا يُشركون بي شيئاً ﴾ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من أعلام الدعوة ٢

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

مشهور بن حسن

تكلَّمنا في الحلقة الأولى عن شخصيَّة هذا العلَم وعن سلفيَّته، وقلنا : إنَّ دعوته قامت على ركائز، نستطيع حصرها فيما يلي :

أوَّلاً : إصلاح العقيدة .

ثانياً : مقاومة الصُّوفيَّة المبتدعة .

ونتابع في هذه الحلقة الكلامَ عن ركائز دعوته، فنقول :

ومنها أيضاً :

ثالثاً : محاربة الفهم الخاطئ للإسلام .

يرى الشيخ الإبراهيمي أنَّ المُتاجرينَ باسمِ الدِّين كانَ لهم أسوأ الأثر على عقولِ النَّاسِ، حيثُ خَدَّروها بالأوهام، وملأوها بالخرافات والادِّعاءات التي ليست منَ الدِّين الحنيف في شيء، فكان فِعلُهم مُشوِّشاً للإيمان عندَ العامَّة، مانعاً للتَّفاعُل الرُّوحي المتعقِّل مع تعاليم الإسلام .

ومكمنُ خطر هؤلاء أنَّ رأس مالهم التَّدجيل والتَّخريف، وبضاعتهم في هذه الأمَّة المسكينة التي أحكموا الحيلة في تخديرها بالرُّؤى والمنامات، وزعزعوا عقيدتها بالله بما أثبتوه لأنفسهم من التَّصرُّف في الكون أحياءً وأمواتاً، ومن مشاركة الخالق فيما تفرَّدَ به منَ الأمرِ والخلق، وأفسدوا فطرتها الدِّينيَّة بما ابتدعوه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لها من عباداتٍ (ميكانيكيَّة) هيَ إمَّا زيادةٌ في الدِّينِ أو نقصٌ فيه .

وظهرت آثار هذه المحاربة في التَّركيزِ أوَّلاً على إصلاح عقيدة النَّاس، وعلى محاربة الصُّوفيَّة المبتدعة التي كانت منتشرة آنذاك .

ومن آثارها أيضاً :

محاربته التَّعصُّب المذهبي المقيت : وكان الإبراهيمي يركِّز على هذا أشدَّ التَّركيز، وكان يَعُدُّ التَّعصُّب المذهبي سبباً من أسباب تفرُّق المسلمين، فها هو يقول وهو يتكلَّم بهذا الصَّدد :

« هذه العصبيَّة العمياء التي حدثت بعدهم - أي : الفقهاء والأئمَّة الأربعة على وجه الخصوص - للمذاهب والتي نعتقد أنَّهم لو بُعِثوا من جديد لأنكروها على أتباعهم » .

ويقول : « وقد طغت شرور العصبيَّة للمذاهب الفقهيَّة في جميع الأقطار الإسلاميَّة، وكانَ لها أسوأ الأثر في تفريق كلمة المسلمين، وأنَّ في وجه التَّاريخ الإسلامي منها لَندوباً » .

ويرى شيخنا الإبراهيمي أنَّ **سبب الوحدَة الحقيقيّ هو الدِّين**، وأنَّ ما يجتمع عليه النَّاس مِن غيرهِ آفاقٌ ضيِّقَةٌ ! فها هو يقول :

« الأوطان تجمع الأبدان، واللُّغات تجمع الألسنة، وإنَّما الذي يجمع الأرواح ويؤلِّفها ويَصلُ بينَ نَكِرات القلوب فيعرفها هو الدِّين، فلا تلتمسوا الوحدة في الآفاق الضيِّقة، ولكن التمسوها في الدِّين، والتمسوها في القرآن، تجدوا الأفق الأوسع، والدَّار أجمع، والعديد أكثر، والقوى أوفر » .

ويرى الشيخ الإبراهيمي أيضاً أنَّ ابتعاد النَّاس عن المفهومِ الحقيقي للإسلامِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجلب لهم لا محالة التَّفرق والتَّشرذم، ومن مستلزمات ذلك الاعتماد على أسسٍ ما أنزلَ اللَّهُ بها من سُلطان، فتجد هؤلاء المبتعدين يَعتَمدونَ تارة على علم الكلام، ويُقدِّسونَ (العقل)، وتجد بعضهم الآخر ينخلع تماماً عن ذلك، ويغرق في الكلامِ عن الرُّوحِ، فها هو يصرِّح بأنَّ الجدل وعلم الكلام : « هو مبدأ التَّفرُّق الحقيقي في الدِّين، لأنَّ المتكلِّمينَ يزعمونَ أنَّ علومهم هيَ أساسُ الإسلامِ، والصُّوفيَّة يقولونَ : أنَّ علومهم هيَ لُبابُ الشَّريعة وحقيقتها » .

فهو - رحمه اللَّه تعالى - عالج جميع الأسباب التي يجتمع عليها فئات من النَّاس، ويتَّخذونها أساساً فيما بينهم على الالتقاء على شارة ما، أو اسمٍ معيَّن، أو مذهبٍ فقهيّ، أو عقليّ، أو روحيّ، ولذا ترى عنده من السَّماحةِ، وبُعدِ الأفقِ، وسَعة الصَّدر، ما هوَ حقيقٌ بمثله، بحيث كانَ مصلحاً حقّاً، بعيداً عن التَّعصُّبات المقيتة، نابذاً القوالب الحزبيَّة الضيِّقة، فهوَ لا يعمل لاسمٍ أو رسمٍ، وإنَّما للإسلام ذات الإسلام بفَهم سلَف الأُمَّة الصَّالحين .

وكانَ - رحمه اللَّه تعالى - إيجابيّاً في دعوته، انطلقَ من أُسس راسخة في الإصلاح، وأوجزَ مهامَّ هذا الإصلاح بقوله :

« إيصال النَّفع والخير إلى الأمَّة، ورفع الأُميَّة والجهل عنها، وحثّها على العمل وتنفيرها من البطالة والكسل، وتصحيح فهمها للحياة وتنظيف أفكارها وعقولها من التَّخريف، وتنظيم التَّعاون بينَ أفرادها وتمتين الصِّلة والثِّقة بينَ العامَّة والخاصَّة منها، وتعليمهم معاني الخير والرَّحمة والإحسان لجميع الخلق » .

والإصلاح عندَ الإبراهيمي له جوانب عديدة، ومرتكزات كثيرة وميادين شتَّى، نتكلَّم عليها في حلقةٍ قادمةٍ إن شاءَ اللَّه تعالى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التَّطرُّف الدِّيني ... معنى !!

محمد إبراهيم شقرة

التَّطرُّف الدِّيني بمعناه الاصطلاحي، ليس جديداً في قاموس المصطلحات التي عرفتها الأمَّة في حياتها، فهو مصطلح قديم، عُرف بألفاظٍ أخرى، أغنته الأيَّام المؤتزرة بالمصائب والبلايا، التي تَحُطُّ رحالها في كلِّ يومٍ بين ظهراني هذه الأمَّة، تصنعها على عيوننا المعاصي الآخذةُ برقاب بعضها البعض، تُشقّق معانيها تشقيقاً من آثار تلك المعاصي، وتُصفّق لها من فرحِ نفوسُ السفهاء، وتَخِبُّ إليها في اللَّيل والنَّهار أقدامُ الجهلاء .

والتطرُّفُ في اللُّغة مصدر، فعله : تطرَّف، أي : أتى الطرف، وطرفُ الشَّيء نهايته، ومنه، تطرّفت الشمس : دنت واقتربت، ومنه، تنحّى، ويقال : تطرّف في كذا، إذا جاوز حدَّ الاعتدال فيه، ولم يتوسَّط، ويقال أيضاً : طرفت النَّاقة : إذا تطرَّفت، أي : رعت أطراف المراعي، ولم تختلط بالنُّوق التي ترعى .

وبالتَّأمُّل قليلاً في المعنى اللُّغوي للتَّطرُّف، نعرف العلاقة بينه وبين المعنى الاصطلاحي له، وهو : « عدم التَّوسُّط في الدِّين »، أي : (مجاوزة حدّ الاعتدال في الدِّين)، وهو معنى اتَّسعت رقعتُه في عقول النَّاس اتِّساعاً جاوز الحدَّ، فتطرَّفوا فيه تطرُّفاً لا تُسوِّغُه عقول الحكماء، وهذا المعنى للتَّطرُّف كان يعرف بالتَّشدُّد، أو بالغلو في الدِّين .

وجاء ذكره في آيات من القرآن، وأحاديثَ من سُنَّته عليه الصَّلاة والسَّلام، فمن القرآن قولُه تعالى : ﴿ قُل يا أهلَ الكِتابِ لا تَغلُوا في دِينكُم غيرَ الحقِّ ﴾ [المائدة:٧٧]، وقولُه تعالى : ﴿ يا أهلَ الكتابِ لا تغلوا في دينكُم ولا تقولوا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللَّهِ إِلَّا الحقَّ ﴾ [النِّساء: ١٧١] .

ومن السنَّة قوله ﷺ : « إيَّاكُم والغُلو في الدِّين فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدِّين »(١) قاله عليه الصَّلاة والسَّلام وهو يعلِّم أصحابه كيف تكون الحصيات التي يرمون بها الجمرات، ومنها قولُه ﷺ : « إنَّ هذا الدِّينَ متين، فأَوغِلُوا فيه برِفقٍ »(٢).

وكان عليه الصَّلاة والسَّلام لا يُشدِّد على أصحابه إلَّا في نهي عن شيء حرَّمه اللَّه، وهذا في حقيقته لا يُعَدُّ تشديداً، ولعلَّ في حديث النَّفر الثَّلاثة - الذين سألوا أزواجَ النَّبي ﷺ عن عبادته فتقالُّوها(٣) - ما نعرف به معنى الغلو والتَّشديد، أو ما صار يُعرف بالتَّطرُّف، فقد أرادَ أولئك النَّفر أن يتجاوزوا في عبادتهم هديَ النَّبي ﷺ فيها، فواحدٌ كان يقوم اللَّيل ولا ينام، وثانٍ كان يصوم ولا يفطر، أمَّا الثَّالثُ فكان لا يتزوَّج النِّساء، فخرجوا بذلك عن حدِّ الاعتدال الذي رسمته الشَّريعةُ، وانتهى إليه الرَّسول ﷺ، فما كان لهم أن يتجاوزوا ما انتهى إليه نبيُّهم، وإلَّا كانوا كما قال لهم رسولُ اللَّه ﷺ مُحذِّراً ومُنبِّهاً : « من رغب عن سنَّتي فليس منِّي » .

هذا ومِثلُه هو الغلو، **أمَّا أن يعملَ الإنسانُ ما أُمر به كأنَّه من غير ما فرقٍ بين مكروه وحرام، راغباً في الاقتداء برسول اللَّه ﷺ ساعياً في الحصول على رضوان اللَّه في الآخرة، في غير رِيَاء ولا سمعة، فلا يُقال في مثله: إنَّه غلو، بل يُقال فيه : اتِّباع واقتداء لمن نهى - ابتداءً - عن الغلو والتَّشديد في الدِّين .**

والغلوُّ بهذا المعنى لا يختلف من زمان إلى زمان، ولا من مكان إلى مكان؛ لأنَّ اللَّه سبحانه شرع لنبيِّنا ﷺ ولأمَّته من الدِّين ما شرع للأنبياء والمرسلين جميعاً،

---

(١) رواه أحمد والنسائي عن ابن عباس، انظر « الصحيحة » (١٢٨٣) .

(٢) رواه أحمد عن أنس، وانظر « صحيح الجامع » (٢٢٤٦) .

(٣) متفق عليه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأنبياء أبناء عَلّات، دينهم واحد[1]، ولو كان لِبُعدِ الزّمان أو لاختلاف المكان تأثيرٌ في معنى الغلو، لكان له أثر في جوهر الشّرائع التي بعث اللّهُ بها سبحانه رسله وأنبياءه، وهذا شيءٌ لم يكن قط، فبأيِّ حديثٍ إذاً نمتري، وبأيِّ عقل ننظر ونقدر ؟

والتطرُّف بمعناه الاصطلاحي الحادث لم يُلتفت فيه إلى المعنى الشرعي الصّحيح المراد من الآيات والأحاديث التي ذكرناها، فقد اتّسعت رقعته في عقول النّاس اليوم اتّساعاً جاوز الحد، حتى صار هو تطرُّفاً في ذاته ثمَّ ينشأ منه تطرُّف وتطرُّف وهكذا، فلا ننتهي به إلى تعريف أو حدٍّ يُساغ عقلاً أو ذوقاً، وصارت العقول تتنازعه تنازعاً شديداً، وصار عندَ كلِّ عقل معنىً للتّطرُّف يختلف عن المعنى الذي رضيه العقل الآخر، ولعلَّ بعض العقول جمعت هذه المعاني كلها وأخرجت منها جميعاً معنى واحداً للتطرُّف .

ولا يشكُّ عاقلٌ أنَّ هذا التّباين الواضح في معنى التّطرُّف ناشئٌ من قصور النّظرة عن الشُّموليّة لمفهوم الدين كله الذي أمر اللّه المؤمنين جميعاً بالدُّخول فيه، والعمل به كله، ﴿ يا أيُّها الّذين آمنوا ادخلوا في السِّلم كافّةً ولا تتّبعوا خطوات الشّيطان إنَّه لكم عدوٌّ مبين ﴾ .

وحسبنا لمعرفة هذا التّباين للتطرُّف أن نلقي السّمع لما تنطق به ألسِنَة المُنَظِّرين في العالم الإسلامي، حين يُعرِّفون التطرُّف، وإن كانوا جميعاً يلتقون على تعريف واحد له، منظور فيه إلى **النُّظم السياسيّة** التي تسود بلاد المسلمين، ولسنا في هذا المبحث بصدد ذكره أو نقده، وإنَّما نكتفي بالإشارة إلى أنَّهم يعينون بوصفِ التطرُّف كلَّ مُلتزمٍ بالدِّين، داعٍ إلى اللّهِ، مبتغٍ تطبيقَ الكتابِ والسُّنَّة !!

وسأُوردُ هنا بعضَ تعاريف التّطرُّف، أسوقُها أمثلةً لعشرات - إن لم يكن مئات - من التّعاريف، ومعذرةً من القول أنَّها تعاريفُ، فهي لم تأخذ شكل التّعريف

(١) متفقٌ عليه عن أبي هريرة، وأبناءُ علّات، أنّهم إخوةٌ لأبٍ واحدٍ وأمّهاتٍ شتّى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بحرفيَّة دلالته على مسمَّاه، بقدر ما أخذت شكلَ الأعراف التي تسودُ مجتمعاً من المجتمعات فترةً طويلة أو قصيرة من الزَّمن، ثمَّ تنتهي، إمَّا لضعفها، وإمَّا لانقراض الفئة أو الطَّائفة التي حملتها وتبنَّتها فتصبحُ لكثرة تداولها وسرعة الإقبال عليها أشبهَ ما تكون بالتَّعاريف، لذا؛ فإنَّني سمَّيتها تعاريفَ وإن كانت ليست بتعاريف :

ففي بعض بلاد المسلمين يرى التَّطرُّف الدِّيني على أنَّه : رفض العادات الغربيَّة التي يَكثُرُ شيوعُها الآن في بلاد المسلمين .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : رفضُ بعض النَّاس المعاصي والآثام التي لا يتأثَّم منها آخرون .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : عدمُ الانسجام جملةً مع الأفكار والمذاهب الدَّخيلة .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : العملُ على التزام ما يُستطاع من شرائع الإسلام وعقائده .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : الجهرُ بقوَّةٍ في الأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ودعوة النَّاس إلى الخير .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : العودةُ بالأمَّة إلى الأصول العلميَّة الصَّحيحة التي جعلت منها أُمَّةً قويَّة قبل أن ينزل بساحتها الهوانُ .

وفي بعضها يرى التَّطرُّف على أنَّه : لزومُ العمل بالكتاب والسنَّة، والوقوف مع سيرة السَّلف الصَّالح في التَّحاكم إليهما .

... وهكذا؛ فإنَّك واجدٌ نفسَك أمام مصطلح تعدَّدت معانيه ودلالاته، لستَ بقادر على تخيُّر واحد منها، إذا كنت غيرَ عارفٍ لطبيعة الحياة الاجتماعيَّة، وربما يكون عجزُك عن هذه المعرفة في بلدٍ عشت فيه وستقضي، لأنَّك غيرُ منسجم فكريَّاً على الأقل أو اجتماعيَّاً مع المجتمع الذي تعيش فيه، وقد تكون النُّفرة بين المجتمع وبين الفرد ناشئةً من شيء خارج عن إرادة ذلك الفرد؛ كالفقر، أو خُلُق الحياء، أو شيء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفسي مَحض، إزاء ذلك لا يكون الفرد بقادر إلّا على النُّفرة، لأنّها السّبيل الوحيد الذي يَخلُصُ به إلى راحته النّفسيّة، مما يتصوّر أنّ النّاس جميعاً يعادونه .

وتَبَعاً لهذا التّعريف - أو قل : أعراف التّعاريف للتّطرف - أخذ التّطرُّفُ أشكالاً مختلفة، وصوراً متعدِّدة، يراها الإنسانُ في كلِّ مكان يذهب إليه من عالمنا الإسلامي الفسيح الجَنَبات، المتباعد الأطراف، يراها مجتمعة، أو منفردة، فالحياةُ الاجتماعيّةُ في بلدٍ ما تختلف عنها في بلدٍ آخر، واختلاف هذه الحياةِ يُوجد فروقاً واسعة في التّفكير العقلي لدى الفئة المثقّفة في هذا البلد أو ذاك، يتبعه قطعاً الاصطلاح على تعريفٍ جديدٍ للتطرُّف .

ولا أجفو الحقيقةَ إذا قلت : حتى المنتمون بولاءات فكريّة دينيّة يختلفون هم أنفسهم في تعريف التطرف، كلٌّ منهم يراه بمنظاره الفكري الخاص، ولو كانت هناك نظرةٌ شموليّةٌ تسعهم جميعاً، تردُّهم بالرُّؤية الصّحيحة إلى كلمات النُّبوّة، لرأوا فيها غُنية عن التّخبُّط في اختيار تعريف، أو وضع مصطلح جديد للتطرُّف، يَركُمونَهُ على المُصطلحات الأُخرى، بفارق قريب بينه وبين تلك المصطلحات : أنّ هذا أُحدث بمنظارٍ يسمَّى إسلاميّاً، وتلك أُحدثت بمنظار ليس إسلاميّاً، واختلاف المنظار لا يعني اختلاف المرئيّ، فالمرئيُ واحدٌ، رغم اختلاف المنظار، والنّتيجة : زيادة في التّعاريف، وفرقة في الرّأي .

ولا أكونُ هازئاً إذا قلت : إنّ التطرُّف بهذا الاختلاف المتباعد بين معانيه وصوره وأشكاله، أصبح أُسلوباً من أساليب المتعة الذّهنيّة، للتّرويح عن النّفس، والتّخفيف من كُروبها وأحزانها إذا أثقلت عليها وطأتها، أو وسيلة للهروب من الواقع الأليم الذي يُقاسيه الأفراد في المجتمعات، أو سُلَّماً يرتقي فيه بعض النّاس، يبتغونَ السّمعة والشُّهرة، يصرفون به أنظار النّاس إليهم، أو سبباً للطّعن على الإسلام والنَّيل من أحكامه وشرائعه وعقائده، والانتقاص من صلاحيّته للحياة الإنسانيّة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلماتٌ .. في الدَّعوة والمنهاج :

السَّلفيَّة ... و ... الحزبيَّة ...

علي بن حسن

يَتوهَّمُ الكثيرُ مِن النَّاسِ عندَ ذِكرِ اصطلاحِ (السَّلفيَّة) و (السَّلفيِّين) وجودَ حزبٍ، أو نشوءَ حزبيَّةٍ، أو غيرَ ذلك ممَّا قَد يَرِدُ على أذهانهم، أو يَخطُرُ على بالهم !

وليسَ لذلك كُلِّه حقيقةٌ واقعيَّةٌ ألبتَّةَ في المنهجِ السَّلَفيِّ القويم، أو في أفكار حَمَلَتِهِ ودُعاتِهِ؛ إذ (السَّلفيَّة) تعني - بحقٍّ - **الإسلامَ الصَّحيحَ الشَّاملَ الذي أنزَلَهُ اللَّهُ سبحانهُ على محمَّدٍ** ﷺ، وليست هي مُسمَّىً محصوراً بفئةٍ من النَّاس، فهي انتسابٌ إلى (السَّلفِ) الممدوحين في الكتاب والسُّنَّة[1]، فكلُّ مَن فَهِمَ دينَه على ما فَهِمَهُ سَلَفُ الأُمَّةِ الصَّالحونَ، فهو (سَلَفيٌّ)؛ سواءٌ أَذكرَ ذلك صراحةً وجهاراً، أم سكتَ عن ذلِكَ خشيةً أو (وسوَسةً) !!

فالسَّلفيَّةُ لا يَسَعُها حِزبٌ، ولا تَحويها جماعةٌ، ولا تنتظمُها حَركةٌ، وإنَّما هي تَسَعُ المسلمين كلَّهم؛ جماعاتٍ وأفراداً، لأنَّها الإسلامُ بشمولهِ، كتاباً وسُنَّةً، بفهم السَّلفِ الصَّالح رضي اللَّه عنهم .

فالواجبُ على الأُمَّةِ مُقارنةُ واقِعِها؛ فكراً، وعَمَلاً، وتصوُّراً، وتنفيذاً : بمنهجِ

(١) وقد سبق في العدد الأوّل من (**الأصالة**) : لماذا المنهجُ السَّلفيُّ ؟ - للأخ سليم الهلالي - سرد الأدلَّة في ذلك .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السَّلفِ في فهمهم وتطبيقهم لهذا الدِّين العظيم .

وإذْ نَذكُرُ (السَّلفيَّة)، ونُكرِّرُها - مُؤكِّدينَ الانتسابَ إلى السَّلف، والتشرُّفَ بذلك - إنَّما نُريدُ بذلك قَطْعَ الطَّريقِ على أولئكَ الَّذينَ يُريدونَ في عَمَلهم (الإسلامي) وتطبيقاتهم (الدَّعويَّة) وتنظيراتهم (الحركيَّة) إبقاءَ حَبْل (الاجتهاد) في (الفكر الإسلامي) مُلقىً على غاربِهِ، دونَ ضوابطَ أو قواعدَ، سِوى مصالحِهِم المنظورةِ في أذهانهم، أو عصرانيَّتِهم النابعةِ مِن تفكيرهم، أو عقلانيَّتِهِم[1] المأسورةِ بأفكارِ الغربِ، وبالتَّالي تَطويعُ النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ تَبَعاً لذلك كلِّه !!

فإن قال قائلٌ - بعد ذا -: لعلَّ في هذه (التَّسميةِ) فتحاً لبابِ تحزُّبِ تكتُّم !

فالجوابُ، أنْ : لا، وذلك لأمرين اثنين :

الأوَّل : أنَّ (السَّلفيَّة) نسبةٌ مُشرِّفةٌ، مُشَرَّفَةٌ لأُولئكَ المذكورين بخيريَّةِ الفهم، وخيريَّةِ التَّصوُّرِ، وليست اسماً مَحصوراً بفئةٍ لها بطاقاتٌ حزبيَّة، أو تصوُّراتٌ عصبيَّة !

الثَّاني : أنَّ تَميُّزَ أهلِ الحقِّ بحقِّهم لا يجعلهم مُشارِكينَ - بالمخالفةِ - لمن انحَرَفوا عن سواءِ النَّهجِ، أو مُشابهينَ لمن حادوا عن سويِّ السَّبيلِ .

فلا غضاضةَ - بحمدِ اللَّه - البتَّةَ على مَن انتسَبَ إلى السَّلفَ؛ ليسَ فقط بالمقالِ، وإنَّما بالسَّمتِ والنَّهجِ والفِعال، وبخاصَّةٍ في هذه الفترةِ العصيبةِ من الزَّمن؛ التي كَثُرَ فيها المُدَّعون للحقِّ، وكَثُرَ فيها أدعياءُ الدَّعوةِ، فلا بدَّ من تميُّزِ

(١) وفي كتابي « العقلانيُّون : أفراخُ المعتزلة العصريُّون » تفصيلٌ مطوَّلٌ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهجيٌ صادقٍ - موافقٍ للحقِّ غير مُخالفٍ عنه - يَقُضُّ مضاجعَ المنحرفين، ويُبطِلُ فِرى المُموِّهين، يُوافقُ الخُبرُ فيه الخَبَرَ، ويكونُ به الدُّعاةُ قائمينَ بدعوتهم حقَّ القيام .

وَرَحِمَ اللَّهُ شيخَ الإسلام ابنَ تيميَّة القائل[1] :

« **لا عَيْبَ على مَن أظهرَ مذهبَ السَّلف، وانتَسبَ إليه، واعتزى إليه، بل يجبُ قَبولُ ذلك منه بالاتفاق، فإنَّ مذهبَ السَّلف لا يكونُ إلَّا حقّاً** » .

ونشرُ نورِ هذا المنهج بين النَّاس، وجعلهُ الشِّعار والدِّثار لحياتهم - شُعوباً وأُمماً، حُكّاماً ومحكومين - هو أمرٌ تتمنَّاهُ النُّفوسُ، وتَتوقُ إليه القلوبُ والعقولُ، ويجتهد في تحصيلهِ المُخلِصون .

فإذا حصلَ - بمنَّة اللَّه ولو بعدَ حينٍ - انتشارُ هذا المنهجِ الحقِّ، وخفتَت تلك الأصواتُ النَّاشزةُ المخالفةُ له هنا وهناك، وأصبحت « الأُمَّةُ في قالب الإسلام الصَّحيح، خاليةً من البدعِ والأهواءِ؛ كما كان الصَّدرُ الأوَّلُ ومُقدَّمةُ السَّلفُ الصَّالح : لغابَت هذه الألقابُ المُميِّزةُ، لِعَدَمِ وجودِ المناهضِ لها »[2].

فَليَهنَأْ دُعاةُ منهجِ السَّلفِ الحقِّ باستعلائِهم على كلِّ تقوقعٍ وتحزُّبٍ، و (لْيَنعَمُوا) بشمولِ دعوتهم لكلِّ صاحبِ فطرةٍ - لم تُغيِّرها الشَّوائبُ - من جميعِ المسلمين، (وَلْيَفرَحِ) المتحزِّبونَ بحزبيَّتهم، ومقاييسهم (الخاصَّةِ جدّاً)، فليسَ هَناك مَن يُنافسهُم فيها، أو يَتطاوَلُ بعُنقِه لمُجاراتِهم بها !!

واللَّهُ الهادي إلى سواء السَّبيل .

---

(١) « مجموع الفتاوى » (١٢٩/٤) .

(٢) « حكم الانتماء » (ص:٣٢) فضيلة الشيخ بكر أبو زيد .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقهُ الخطيب وأثرُهُ في استجابةِ المُستمِع

حسين العوايشة

أخرج الإمام مسلم في « صحيحه » (٨٦٩) من حديث أبي وائل – رحمه الله – قال :

« خَطَبَنا عمّار، فأوجزَ وأبلَغ، فلمَّا نزلَ قُلنا : يا أبا اليقظان ! لقد أبلغتَ وأوجَزت، فلو كنتَ تنفَّست »[١].

فقال : إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إنَّ طول صلاة الرَّجل وقصر خطبته مَئِنَّةٌ من[٢] فقهه، فأطيلوا الصَّلاة واقصُروا[٣] الخُطبة، وإنَّ من البيان سِحراً » .

وعن جابر بن سَمُرة السُّوَائي رضي الله عنه قال : « كان رسولُ الله ﷺ لا يُطيل الموعظةَ يوم الجمعة، إنَّما هُنَّ كلمات يسيرة »[٤] .

(١) أي : أطَلتَ، وأصله أنَّ المتكلِّم إذا تنفَّسَ استأنفَ القول وسهُلت عليه الإطالة . « النِّهاية » .

(٢) أي : علامةُ مَن يُتحقَّق من فقهه، وحقيقتها مكان لقول القائل : مِئنة فقيه . « فيض القدير » .

(٣) هذا في الخطبة التي فيها مفتاح الخير ومنبع التَّوجيه، فلا تلين لتفصيلات وتفريعات فإنَّه يحضرها الصَّغير والكبير والمريض والصَّحيح والعامّي والمتعلِّم .

أمَّا في غير ذلك فلك أن تطيل وتقصر على قدْر همَّة الحاضرين وعزمهم في دروس علميَّة وجلسات في مختلف علوم الدِّين .

(٤) « صحيح سنن أبي داود » (٩٧٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

« إنَّ طول صلاة الرَّجل وقصر خطبته مِئنَّةٌ من فقهه »!

ما السرُّ الذي جعل طول صلاة الرَّجل وقصر خطبته من علامات فِقهِه ؟

أقولُ : أيّ موضوع يتخيَّره الخطيب هو علم ودعوة إلى العمل :

إنَّه يدعو لإصلاح النُّفوس وحُسن مراقبة اللَّه تعالى .

إنَّه يدعو لإصلاح الصَّلاة وتحقيق معنى الخشوع فيها .

إنَّه يدعو لمجاهدة النَّفس .

إنَّه يدعو لحُسن المعاملة مع أفراد المجتمع .

إنَّه يدعو للجهاد في سبيل اللَّه تعالى .

إنَّه يدعو للبر والخير والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر .

وكُلُّ ماذكرتُ هو من باب العلم والدَّعوة، وأمَّا المضي للصَّلاة فهو العمل بمقتضى ما ذُكر كلّه .

فالآن بعد تلك الخطبة الدَّاعية إلى العلم، جاء دور العمل .

يقف المسلم بين يدي ربِّه يودِّع الدُّنيا ويزهّد فيها .

إنَّه يستمدُّ في الصَّلاةِ قوَّة القلب وشجاعة الفؤاد ليأتمر بما أُمِر، وينتهي عمَّا نُهي عنه، ويعمل بما سَمِع .

فإن سمعَ في الخطبة عن الصَّلاة ومنزلتها في الدِّين فقد جاء دور تحقيق هذه المعاني .

وإن سَمع في الخطبة عن مجاهدة النَّفس؛ فقد آن أوان مجاهدة النَّفس، وتصبيرها على الرُّكوع والسُّجود والخشوع .

وإن كانت الخطبة تنهى عمَّا حرَّم اللَّه تعالى؛ فها هي الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال اللَّه تعالى : ﴿ إنَّ الصَّلاةَ تنهى عن الفحشاءِ والمُنكَر ولَذِكرُ اللَّهِ أكبرُ واللَّه يعلمُ ما تَصنَعون ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجاء هذا مؤكَّداً في الحديث الصَّحيح الثَّابت عن رسول اللَّه صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم لـمَّا قيلَ له : إنَّ فُلانا يُصلِّي اللَّيل كله، فإذا أصبح سَرَق !

فقال صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه : « سينهاه ما تقول »، أو قال : « ستمنعه صلاته »[1].

وإن كانت الخطبة تأمر بالمعروف، فالصَّلاة أعظم معروف وخير موضوع[2]، وإنَّ العبد في صلاته ليستمدّ العون من اللَّه تعالى في كلِّ خير وبرّ، من خشوع، وصوم، وزكاة، وحج، وجهاد، وخُلُق حَسَن، وترك كل مُنكر وشرٍّ وفجور .

لعلَّ الخطبة كانت تأمر بالجهاد في سبيل اللَّه، فمن استطاع أن يجاهد نفسه في تحسين صلاته واستمداد العون من اللَّه تعالى، فقد ثبتَ في الجهاد، وإلَّا فلن يستطيعه، وهل يُقاتلُ الأعداء إلَّا لأنَّهم كَفروا باللَّه وتركوا الصَّلاة .

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه : أنَّ النَّبي ﷺ كانَ إذا غزا بنا قوماً؛ لم يكن يغزو بنا، حتى يُصبح وينظر، فإن سمعَ أذاناً كفَّ عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغارَ عليهم »[3].

نعم؛ الصَّلاة هي العمل، هي سبب صلاح النُّفوس، إنَّها النُّور[4] والشِّفاء، بها وبالصَّبر يُستعان، قال اللَّه تعالى : ﴿ واستعينوا بالصَّبر والصَّلاة وإنَّها لكبيرَةٌ إلَّا على

---

(١) رواه أحمد والبزَّار والطَّحاوي في « مشكل الآثار » وغيرهم بإسناد صحيح .
وانظر التَّعليق على الحديث في « الضَّعيفة » (١٦/١) .

(٢) لقوله ﷺ : « الصَّلاة خيرُ موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر » .
رواه الطَّبراني في « الأوسط » وهو حسن بشواهده .
وانظره في « صحيح التَّرغيب والتَّرهيب » رقم (٣٨٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٠)، ومسلم (٣٨٢) .

(٤) قوله ﷺ : « ... والصَّلاة نور » .
أخرجه مسلم (٢٢٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاشعين ﴾ [البقرة:٤٥] .

وفي الحديث :

« أوّل ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصَّلاة، فإن صَلَحَت صَلَح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر علمه »(١).

إنَّ فقه الرَّجل أن يقصُر الخطبة التي دَعَت للجهاد؛ ليمضي إلى الصَّلاة ليُصلِح أمر جهاده، ويستعين بصلاته ليُوفَّق في ذلك .

وإنَّ من فقهه أيضاً أن يقصر الخطبة التي تدعو لحُسن الخُلُق، ليمضي إلى الصَّلاة ليُصلِح خُلُقَه ويستعين بصلاته على ذلك .

ومن فقهه كذلك أن يقصر الخطبة التي تدعو إلى بذل المال في سبيل الله، ليمضي إلى الصَّلاة؛ فتنهاه عن البخل وتُصلِح له أمر بَذْله وإنفاقه .

وهكذا الشَّأن مع سائر الأعمال، فالصَّلاة تيسِّر سبيل الطيِّبات، وتأمر العبد بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وتبدِّد له الصِّعاب .

ولمن غضَّ الطَّرف عن الصَّلاة أقول :

كم من مريد للجهاد لم يُصِبْهُ !

وكم من راغب في تحسين الخُلُق لم يَنَلهُ !

وكم مِن مُحبٍّ لبَذْل المالِ لم يَظفر به !

ثمَّ تَعالوا نسأل أنفسنا :

أوَما تَضَجَّر الكثير من مجاهدين مقاتلين !

أوَما تأَفَّفَ الكثير من حُجَّاج ومزكِّين !

(١) أخرجه الطَّبراني في « الأوسط » بإسناد لا بأس به، وغيره .
وانظر « صحيح التَّرغيب والتَّرهيب » برقم (٣٦٩) .
والشَّطر الأوَّل منه له طرق وشواهد كثيرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوَما تحوقل كثير من صائمين ومتصدِّقين !

فهذا كلُّه بسبب عدم إحسان الصَّلاة؛ « ... مئنَّة من فقهه » .

هذه هي دلائل الفقه وأمارات الفهم .

وكم من أناس يجهلون مدلول الفقه ومعناه !

روى الدَّارمي عن عِمران المِنقَريّ قال :

« قلتُ للحسن يوماً في شيء : أما هكذا قال الفقهاء ؟

قال : ويحك هل رأيت فقيهاً ؟! إنَّما الفقيه الزَّاهدُ في الدُّنيا، الرَّاغبُ في الآخرة، البصير بأمر دينه، المداوِم على عبادة ربِّه » .

ويُحكى أنَّ أحدهم قال للشَّعبي يوماً : أجبني أيُّها الفقيه العالم، فقال : ويحك لا تُطْرِنا بما ليس فينا، الفقيه مَن تورَّع عن محارم اللَّه، والعالم من خشي اللَّه، وأينَ نحن من ذلك !

هذا المعنَى الشَّامل للفقه والفقيه؛ أن يُبلِّغنا العِلمُ الزُّهدَ في الدُّنيا، والرَّغبة في الآخرة والتَّورُّع عن محارم اللَّه، والتَّبصُّر بأمر الدِّين، والمداومة على عبادة اللَّه تعالى؛ وأشدُّ ما يتمثَّل هذا ويتحقَّق في الصَّلاة .

فلنكن من أهل العمل لا من أهل القول والنَّظريَّات المجرَّدة وَلْنُقْبِلْ على صلاتنا بكلِّياتنا، نودِّع الدُّنيا ونستقبل الآخرة، ولننظر ما نُقدِّم لغد من بر وصلاة، ولنتذكَّر قبلَ أن نُصلِّي أنَّنا سَنُحاسَبُ أوَّلَ ما نُحاسب على الصَّلاة، وأنَّ بصلاحها صلاحَ سائر الأعمال وبفسادها فساد سائر الأعمال .

ها هو العمل فحيَّ هلا .

ها هو الصِّدق لمن أرادَ أن يتَّقيَ اللَّه ويكون مع الصَّادقين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكُتُب : تعريفاً ونقداً

(٢)

أحكامٌ متعلِّقةٌ ببيعِ الكُتُب .

و .. وَقفَةٌ أُخرى مع كتاب « دفع شُبَه التَّشبيه » !

كلمةٌ :

نَنصحُ إخوانَنا طلبةَ العلمِ بأن يكونَ شعارُهم : « مَعَ المحبرة إلى المقبرة »، ونَنصحُ لهُم بأن لا ينقطعوا عن التَّحصيل والطَّلب، سواء بمجالسة العلماء والجثو على الرُّكب بينَ أيديهم، وهذا أسهل وأنفع وأمتع، أم بالانكباب على القراءة ومتابعة النَّافع الجيِّد مما يُنشر ويُحقق، من تراث الأقدمين والمُحدَثين، فإنَّ في السَّاحة العلميَّة هذه الأيَّام - ولله الحمد والمنَّة - إقبالاً ونشاطاً على التَّحصيل العلمي، مما يُنْبِىءُ عن مستقبل زاهر، وعودة من الأمَّة إلى دينها؛ اعتقاداً وعملاً وسلوكاً، وما ذلك على الله بعزيز .

ولكن هذا النَّتاج العلميّ الهائل التي تقذف به بطون المطابع، ويُعرض على رفوف دور النَّشر، ليسَ كلُّه سواءً، فمنه المهم - وهو على درجات - ومنه الذي ليسَ منه نفعٌ ولا جَدوى، والقسم الثَّالث : هو الضَّارُّ السَّاقط - وهو على دركات -

ولذا رأينا من الأهمِّيَّة بمكان أن يكونَ في مجلَّتنا (**الأصالة**) بابٌ للتَّعريفِ بالكتُب ونقدِها، ويتضمَّن ذلك شيئاً مِن : الأحكام الفقهيَّة المتعلِّقة بالكتُب الشَّرعيَّة، عسى أن يراعيها المؤلِّفونَ والمُحقِّقونَ والبائعونَ والمشترونَ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمستعيرونَ للكتُب .

وسنُتابعُ الكلامَ اليومَ في أمرين :

الأمرِ الأوَّلِ : الأحكامِ المتعلِّقة ببيع الكُتب .

والأمرِ الثَّاني : كتاب « دفع شُبَه التَّشبيه » بتقديمات محقِّقه التي شغّب فيها على النَّهج السَّلفي في عدَّة مسائلَ، منها باب الصِّفات، وسنوالي - إن شاء اللَّه تعالى - الكلامَ عليها في حلقاتٍ قادمةٍ أيضاً .

١ - الأحكام الفقهيَّة المتعلِّقة بالكتُب الشَّرعيَّة :

● بيع الكتب :

على النَّاشرين أن يتَّقوا اللَّه في اختيار المواضيع التي تنفعُ النَّاس، وتصحح عقائدهم، وتقوِّم عباداتهم، ولتكن قاعدتهم : « نشر ما يحتاجه المطَّلعونَ لا ما يطلبونه » ! فقد تطلب العامَّةُ كثيراً من الكُتب المضلِّلة، ويكون لها رواج، وتعود على دور النَّشر بالرِّبح المادي العاجل !! فإن اجتمعت حاجة النَّاس في كتاب نافع؛ مع طلبهم له، وشغفهم به؛ فَحَسَنٌ، ولكن لا بُدَّ من استحضار الثَّواب في اختيار هذا الكتاب، حتَّى يكون النَّاشر صاحب رسالة زيادةً عن استثمار المال والتِّجارة؛ فإنْ فعل ذلك فهو مأجورٌ عند اللَّه سبحانه وتعالى إن شاء اللَّه تعالى .

سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه تعالى - عمَّن نسخ بيده « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » و « القرآن » وهو ناوٍ كتابة الحديث وغيره، وإذا نسخ لنفسه أو للبيع هل يُؤجَر ؟

فأجاب بعد أنْ مَدَحَ « الصَّحيحين » و « كتب السُّنن » و « المسند » و

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

« الموطَّأ » بما نصُّه :

« ويُؤجَر الإنسان على كتابتها، سواء كتبها لنفسه أو كتبها ليبيعها، كما قال النَّبي ﷺ : « إنَّ اللَّه يدخل بالسَّهم الواحد الجنَّة ثلاثة : صانعه، والرَّامي به، والمُمِدّ به »، فالكتابةُ كذلك، لينتفع به، أو لينفع به غيره، كلاهما يثاب عليه »[1].

قلت : وكذلك الكتاب النَّافع، فكما أنَّ اللَّه سبحانه يُثيب مُؤلِّفَه عليه فإنَّه يثيب ناشره أيضاً .

ولكن لا بدَّ من مراعاة ما يلي :

■ **يَحرُمُ بيعُ الكتب المشتملة على الشِّرك وعبادة غير اللَّه تعالى :**

قال ابنُ القيِّم - رحمه اللَّه تعالى - في مبحث البيوع المحرَّمة :

« وكذلك الكُتب المشتملة على الشِّرك وعبادة غير اللَّه، فهذه كلها يجب إزالتها وإعدامها، وبيعُها ذريعةٌ إلى اقتنائها واتِّخاذها، فهو أولى بتحريم البيع من كلِّ ما عداها، فإنَّ مفسدة بيعها بحسب مفسدتها في نفسها »[2].

■ **يحرم بيع كتب الخرافات والشَّعوذة :**

قال الوَنْشَرِيسي : « وسُئل بعضهم عن كتب الشخناء والتَّواريخ المعلوم

---

(١) « مجموع الفتاوى » (١٨/٧٤-٧٥) .

والحديثُ الذي ذكرهُ شيخُ الإسلامِ ضعيفٌ؛ انظر تخريجه في « تخريج فقه السيرة » (ص:٢٢٥-٢٢٦ / للغزالي) لشيخنا .

ولكنَّ عمومَ معناهُ الذي استدلَّ به له شيخُ الإسلام صحيحٌ يشهدُ له قولُه ﷺ في الحديث الذي رواه مسلمٌ : « مَن دلَّ على خيرٍ فلهُ مثلُ أجر فاعلِهِ » .

(٢) « زاد المعاد » (٥/٧٦١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كذبها، كـ « تاريخ عنترة » و « دلهمة » والهجو والشعر، والغناء، ونحو ذلك، هل يجوز بيعها أم لا ؟

فأجاب : لا يجوز بيعها ولا النَّظر فيها .

وأخبر الشيخ أبو الحسن البَطَرْني أنَّه حَضَرَ حلقة فتوى ابن قِدَاح فسُئِل عمَّن يسمع حديث عنترة هل يجوز إمامته ؟

فقال : لا تجوز إمامته ولا شهادته .

وكذلك حديث دلهمة لأنَّها كذب، ومستحلُّ الكذب كاذب، وكذلك كتب الأحكام للمنجِّمين، وكتب العزائم بما لا يُعرف من الكلام »[1].

قلت : أمَّا إمامته فصحيحة، لأنَّ مَن يُسقط الصَّلاة عن نفسه يُسقطها عن غيره، ولكن لا ينبغي أن يخطبها إلَّا من كان أهلاً لها، ورجلٌ هذا حالُه ينبغي أن يُمنع منها، ولكن هذا على وجه التَّمام والكمال، واللَّه أعلم .

■ لا يجوز بيع كتاب كثير الأخطاء إلَّا بعد البيان :

سُئِلَ ابن رشد - رحمه اللَّه تعالى - عن رجل اشترى مصحفاً، أو كتاباً، فوجده ملحوناً كثير الخطأ غير صحيح، ويريد أن يبيعه، هل عليه أن يُبيِّنَ ؟ وإنْ بيَّنَ لم يُشْتَرَ منه .

فأجابَ على ذلك، بأن قال : لا يجوز أن يبيع حتى يُبيِّنَ ذلك، وباللَّه التَّوفيق .

قلت : فإن كانَ لا يجوز بيع الكتاب الملحون كثير الخطأ في الرَّسم والمبنى، فالمنع أولى فيه إن كان في المضمون والمعنى .

(١) « المِعيار المُعرب » (٦/٧٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعليه : فعلى بائعي الكتب أن يتَّقوا الله سبحانه، فيُبيِّنوا الأخطاء العامَّة لبعض الكُتب المشهورة، وبخاصَّةٍ للمبتدئين في طلب العلم والعوامّ، إذ (يُفترض) في هؤلاء البائعين أن يكونوا ذوي معرفة جيِّدة بأحوال الكُتب، ولو من باب إتقان الصَّنعة، ولو كانَ ذلكَ - في أقلِّ الأحوال - عن طريق من يثقونَ به من طلبة العلم الذين يتردَّدونَ عليهم .

والأمثلة على ذلك كثيرة لا تُحصَر، نأتي على بعضها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

٢ - وقفةٌ أُخرى مَعَ .. الكُتُب المُضلِّلة :

كتاب « دفع شُبه التَّشبيه » لابن الجوزي، بتحقيق (!!) وتعليق (!!) حسن السَّقاف !!

بيَّنَّا في الحلقة الأولى اضطراب ابن الجوزي في الأسماء والصِّفات، وأنَّ مُحقِّقي الحنابلة أنكروا عليه هذا الكتاب، وأنَّه لا يجوز التَّعويل عليه في بيان عقيدة الإمام أحمد خاصَّة، والحنابلة عامَّة .

ونتعرض في هذه الحلقة إلى أمرٍ كُنَّا وعدنا به في الحلقة الأولى، وهو (هل ثبت التَّأويل عن أحدٍ من السَّلف ؟) .

ولقُرب العهد بالكلام عن عقيدة الإمام أحمد؛ أتعَجَّل في بيان خطأ محقق الكتاب (!) في نسبة التَّأويل في الصِّفات لهذا الإمام الجليل، وأُعرِّج على منهجِ جملةٍ من الحنابلة ممَّن تأثَّرَ بهم ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - .

قال محقق الكتاب تحت عنوان (إثبات التَّأويل عند السَّلف) (ص:١٢) في الرَّقم الرَّابع ممَّن وقع التَّأويل - على زعمه - في كلامه؛ ما نصُّه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحرف :

« الإمام أحمد بن حنبل يؤوِّلُ أيضاً :

روى الحافظ البيهقي في كتابه « مناقب الإمام أحمد » - وهو كتاب مخطوط[1] - ومنه نقل الحافظ ابن كثير في « البداية والنّهاية » (٣٢٧/١٠) فقال:

« روى البيهقي عن الحاكم، عن أبي عمرو بن السمَّاك، عن حنبل أنَّ أحمد بن حنبل تأوّل قول اللّه تعالى : ﴿ وجاءَ ربُّكَ ﴾ أنّه جاء ثوابه .. ثمَّ قال البيهقي : وهذا إسنادٌ لا غُبارَ عليه » انتهى كلام ابن كثير .

وقال ابن كثير أيضاً في « البداية » (٣٢٧/١٠) :

« وكلامه - أحمد - في نفي التشبيه، وترك الخوض في الكلام، والتَّمسُّك بما ورد في الكتاب والسنَّة عن النَّبي ﷺ وعن أصحابه » انتهى .

قلت : نعم؛ كلام ابن كثير الأخير حقٌّ، فإنَّ أحسن وَصْف وُصِفَ به الإمامُ أحمد في نظري أنّه تابعي جليل تأخَّر به الزَّمن، وهو يدلُّ على أنَّ الخوض في الكلامِ لم يكن من منهجه، المستلزم العدول عن ظواهر النُّصوص، ولا سيَّما في باب الصِّفات .

أمَّا ما نقله البيهقي عن أحمد؛ فعليه المؤاخذات التَّالية :

أوَّلاً : إنَّ للإمام أحمد في باب أصول الدِّين من الأقوال المُبَيِّنة لما تنازع فيه النَّاس ما ليس لغيره، ومن أقواله المؤيِّدة بالكتاب والسنَّة واتِّباع سبيل السَّلف الكثيرُ الطيِّب، ولهذا كان جميع من ينتحل السنَّة من طوائف الأُمَّة - فقهائها ومتكلّميها وصوفيَّتها - ينتحلونه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولهذا لـمّا كان أبو الـحسن الأشعري وأصحابه منتسبينَ إلى السنَّة والجماعة : كان منتحلاً للإمام أحمد، ذاكراً أنَّه مقتدٍ به متَّبعٌ سبيلَه .

وكانَ بين أعيان أصحابه - أعني الأشعريّ - من الموافقة والمؤالفة لكثير من أصحاب الإمام أحمد ما هو معروف، حتى إنَّ أبا بكر عبدالعزيز يذكر من حجج أبي الحسن في كلامه مثل ما يذكر من حجج أصحابه؛ لأنَّه كانَ عنده من متكلِّمة أصحابه .

وكان من أعظم المائلين إليهم التَّميميُّونَ : أبو الحسن التَّميمي، وابنه، وابن ابنه، ونحوهم .

وكانَ بينَ أبي الحسن التَّميمي وبينَ القاضي أبي بكر الباقلاني من المودَّة والصُّحبة ما هو معروف مشهور .

ويحتج ابن الجوزي بكلام هؤلاء التَّميميِّين؛ ومن تأثَّر بهم من الحنابلة وغيرهم، بل إنَّ الحافظ أبا بكر البيهقي في كتابه الذي صنَّفه في « مناقب الإمام أحمد » - لمَّا ذكر اعتقاده - اعتمد على ما نقله من كلام أبي الفضل بن عبدالواحد بن أبي الحسن التَّميمي، وله في هذا الباب مصنَّف ذكرَ فيه من اعتقاد أحمد ما فهمه، ولم يذكر فيه ألفاظه، وإنَّما ذكر جمل الاعتقاد بلفظ نفسه، وجعل يقول : « وكان أبو عبدالله ... » وهو بمنزلة من يصنِّف كتاباً في الفقه على رأي بعض الأئمَّة، ويذكر مذهبه بحسب ما فهمه ورآه، وإنْ كان غيره بمذهب ذلك الإمام أعلم منه بألفاظه وأفهم لمقاصده، فإنَّ النَّاسَ في نقلِ مذاهب الأئمَّة قد يكونونَ بمنزلتهم في نقل الشَّريعة .

ومن المعلوم أنَّ أحدهم يقول : حكم الله كذا، أو حكم الشَّريعة كذا،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بحسب ما اعتقده عن صاحب الشَّريعة؛ بحسب ما بلغه وفهمه، وإن كان غيره أعلم بأقوال صاحب الشَّريعة وأعماله وأفهم لمراده(١).

ثانياً : هذه الرِّواية غلطٌ على الإمام أحمد، فإنَّ حنبلاً تفرَّد بها عنه، وهو كثير المفاريد المخالفة للمشهور من مذهبه، فإذا تفرَّد بما يخالف المشهور عنه، فالخلَّال وصاحبه عبدالعزيز لا يثبتونَ ذلك رواية، وأبو عبدالله بن حامد وغيره يثبتونَ ذلك رواية .

ذكره ابن القيم، وعقَّب عليه بقوله :

« والتَّحقيق أنَّها روايةٌ شاذَّةٌ مُخالفةٌ لجادَّة مذهبه » .

ثمَّ ذكرَ الطَّريقَ الثَّالث لأصحاب أحمد، وهي : إنَّ حنبلاً ضبط ما نقل، واختلفوا في تخريج هذا النَّص، ثمَّ أسهب في تفصيل ذلك(٢).

وما رجَّحه ابن القيم هو الصَّواب في هذا الباب، وهو ما نقله أبو يعلى الفرَّاء عن أبي إسحاق بن شاقلَّا، قال بعدَ أن ذكرَ رواية حنبل :

« هذا غلطٌ من حنبلٍ لا شكَّ فيه، وأراد أبو إسحاق بذلك أنَّ مذهبه حمل الآية على ظاهرها في مجيء الذَّات، هذا ظاهر كلامه، والله أعلم »(٣).

وسنأتي في العدد القادم - إن شاء الله - على بيان خطأ ما نسبه للأئمَّة الأعلام من أنَّهم ذهبوا للتَّأويل، بعون الله سبحانه وتعالى .

---

(١) « مجموع الفتاوى » (١٦٦/٤-١٦٨) .

(٢) « مختصر الصَّواعق المرسلة » (٢٦٠/٢-٢٦١) .

(٣) « إبطال التَّأويلات » (١٣٢/١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في رحاب الأسرة (١)

الأسرة وقواعد السلوك العائلي

د. مروان القيسي

الأسرةُ تلك اللَّبنَةُ التي تُشكِّلُ أساسَ المجتمع، وتتكوَّن من أفرادٍ تقومُ بينهم علاقاتٌ دائمةٌ، تكادُ تكونُ أكثرَ العلاقات الإنسانيّة أهمِيَّة .

لذا كانَ لا بدَّ من قواعد للسُّلوك تحكُمُ هذه العلاقاتِ وتُنظِّمُها، حتى تكونَ على خيرِ ما يُرام وتُؤتي أُكُلَها، متمثِّلاً في صَبغِ الحياة الأُسَريَّة بالانسجام والتَّعاون التَّامَّين .

والعَلاقاتُ الأُسرِيَّةُ علاقاتٌ بينَ الزَّوجينِ من جهة، والآباء والأبناء من جهةٍ ثانيةٍ، والأبناء بعضهم ببعض من جهةٍ ثالثةٍ .

سـلـوكُ الـزَّوج :

١ - ليسَ من العَيبِ - بل إنَّ منَ الأدَبِ - أن يُشارك الزَّوجُ في الاعتناءِ بشؤونه الخاصَّة كإصلاح الثَّوب أوَ نحوِ ذلك .

٢ - من اللاّئقِ ألّا يقتصر الرَّجلُ على خدمة نفسه، فالزَّوجةُ تقُومُ بأعباء المنزل الكثيرة، إذن فمن الأدَبَ أن يَمُدَّ الزَّوجُ يدَ المساعدةِ لزوجتِه في المنزلِ في حالاتِ الحاجة، كالمرضِ والولادةِ وما شابَه ذلك .

٣ - الزَّوجُ المثاليُّ هوَ مَن يتعاون مع زَوجتِه بِحُسْنِ الـمُعاشَرَةِ وحُسن الـخُلُق، بكلِّ ما في اللَّفظين من معنى، بل إنَّ أفضل الأزواج معاملةً لزوجاتِهم هم أفضل النَّاس في نظر الإسلام، وهذه الـمُعاشرة بالمعروف يجب أن تَتَّسِمَ بها الحياةُ الزَّوجيَّةُ حتى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عند الطَّلاق .

٤ - ينبغي الحذر من اتِّصاف العلاقة بينَ الزَّوجين بالجديَّة القاتلة ! فإنَّ اتِّصاف الحياة العائليَّة بالصِّبغة العسكريَّة يُعَدُّ سبباً من أسباب الفشل، ونذيرَ سوء .

٥ - من لُطف الزَّوج وحسن خُلُقِهِ تلبيةُ طلبات زوجته إذا لم تكن ممنوعة شرعاً، والإسراف أكلاً وشُرباً ولِبساً في مقدِّمة الممنوعات الشَّرعيَّة .

٦ - يجدر بالزَّوج تخصيصُ وقتٍ للّهو مع زوجته .

٧ - العلاقة بينَ الزَّوجين يجب أن تكون ذات صبغة خاصَّة، ولا يمكن أن تكونَ كذلك، إلَّا إذا بادرَ الزَّوجانِ إلى تحطيمِ الحواجزِ بينهما، فلا يتحرَّج الزَّوج أن يشرب من الكأس[1] التي شربت منها زوجته مثلاً .

٨ - ليس هناك إنسانٌ كاملٌ، فقد يرى الزَّوجُ في زوجته خِصالاً لا تنسجم مع مزاجه وطبيعته، فإن كانت هذه الخِصالُ لا تتعارض مع أصول الشَّريعة أو طاعة الزَّوج وحقوقه، فعليه حينئذٍ ألَّا يحاولَ تغيير شخصيَّتها لِتتَّفِقَ مع مزاجه .

وعليه أن يتذكَّر دائماً أنَّ لكلٍّ من الزَّوجين شخصيَّة تختلف عن شخصيَّة الآخر، وأن يتذكر أيضاً أنَّه إن كان في زوجته صِفاتٌ لا تُعجبه، فإنَّ فيها صفاتٍ أُخرى لا بدَّ أن تُعجِبه .

٩ - لا يكن رمضانُ عائقاً في طريق مُلاطفة زَوجتك كتقبيلها **إذا كنت متمكِّناً من نفسك**، إذ إنَّ الممنوع في نهار رمضان هو الجماع فقط .

١٠ - لا تَتَّبِعَ أخطاء زوجتك وتُحصيها عليها، فإنَّ كثرة اللَّوم والعتاب يُفسد العلاقة بينكما ويُهدِّد الحياة الزَّوجيَّة، فتغافل عن يسيرِ زلَّة زوجتك وأَقِل عثراتها .

١١ - لا تتردَّد إذا كنت مقتدراً أن تحسن لزوجتك في الكسوة والطَّعام، وأن تكونَ كريماً في الإنفاقِ عليها بحدود إمكانيَّتك .

(١) فائدةٌ : لا تُسمَّى الكأسُ كأساً إلَّا وفيها الشراب. « مختار الصحاح » (ص: ٥٦٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٢ - لا تتهاون في وضع حد لارتكاب أيِّ مخالفة شرعيَّة في المنزل أو خارجه ترتكبها الزَّوجة، وقد يكون هذا هو السَّبب المهم الموجب لغضبك، فلا تنفعل لأيِّ سبب .

١٣ - ما سبق لا يعني أن تتسيَّب الأمور نتيجة للمرونة، فكلَّما شعرت أنَّ الأمر قد يتسيَّب، وازن ذلك بنوع من الجدِيَّة والحزم، دونَ أن تكونَ فيها غِلظةٌ أو قسوةٌ .

١٤ - المرأة هيَ سيِّدة المنزل المسؤولة عنه، فلا تحاول أن تتدخَّل في أمور لا تدخل في دائرة اختصاصك ومسؤوليَّاتك كالطَّعامِ أو ترتيبِ المنزل .

١٥ - احذر أن تُعاقب زوجتك أو تعاتبها على خطأ ارتكبته بحضور الآخرين، ولو كانوا أبناءك، فإنَّ ذلك أمرٌ ينافي اللَّياقة، ويؤدِّي إلى إيغار الصُّدورِ .

١٦ - إذا اضطررت لإنزال عقوبة بزوجتك، فليكن ذلك هو هجرك لها في الفراش، ولا تهجر إلَّا في البيت وتجنَّب السباب والشَّتائم والضَّرب ووصفها بالقبح، فتلك الأمور لا تليق بالزَّوج النَّاجح .

١٧ - غيرتك على زوجتك أمرٌ محمودٌ يدلُّ على حبك لها، ولكن شريطةَ ألَّا تبالغ في هذه الغيرة، فتنقلب عندها أمراً مذموماً .

١٨ - دخول المنزل : لا تفِاجئ أهلك بغتة، وادخل عليهم على علم منهم ثمَّ سلِّم عليهم، واسأل عنهم وعن أحوالهم، ولا تنسَ أن تذكر اللَّه عزَّ وجلَّ عند دخولك المنزل .

١٩ - احذر نشر الأسرار المتعلِّقة بالوِقاع، فذلك أمر محظور وحرام .

٢٠ - حافظ على نظافة فمك وطيب رائحته باستمرار .

٢١ - لا تعني القوامةُ أن تستغلَّ ما فضَّلك اللَّه به عليها فتضرّها أو تظلمها .

٢٢ - احترامُك لأهل زوجتك وإكرامُك لهم احترامٌ وإكرامٌ لها، حتى بعد وفاتها، شريطة ألَّا يصاحب ذلك محظور شرعيّ كاختلاط أو خلوة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٣ - كثرة المزاح تقود إلى قلّة الهيبة وعدم الاحترام، فلا تكثر المزاح مع زوجتك .

٢٤ - تذكّر أنَّ الوفاء بالشُّروط التي تعهّدت بها لزوجتك في عقد زواجكما أمر في غاية الأهميَّة والضَّرورة، فلا تهمل ذلك بعد الزَّواج .

٢٥ - إذا خاطَبتَ زوجتك أو عاتبتها أو تحدَّثت معها، فاختر اللُّطف والطيِّب من الألفاظ والعبارات، ولا تعاتبها أمامَ الآخرينَ أو أمامَ أولادك .

٢٦ - ليسَ لك أن تطلب من زوجتك العمل خارج المنزل أو الإنفاق عليك من مالها .

٢٧ - لا تُكلِّف زوجتَك ما لا تُطيق من الأعمال، وخذ في عين الاعتبار بيئتها التي نشأت فيها، فخدمة البدويَّة ليست كخدمة القرويَّة، وخدمة القَويَّة واستعدادها ليست كخدمة الضَّعيفة .

٢٨ - ليس في وجوب خدمة المرأة لزوجها ما ينافي مشاركة الرَّجل لها في ذلك، إذا وجد الفراغ، بل إنَّ ذلك من حسن المعاشرة بين الزَّوجين .

يتبع في العدد القادم - إن شاء اللّه - .

o o o o o

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسـائـلُ وأجـوبـتُـهـا

للعلّامة المحدِّث محمَّد ناصر الدِّين الألباني

مَدخَلٌ : هذا البابُ يحوي بين سطورِهِ الإجابةَ على ما يُشكِلُ على الإخوة القُرّاءِ مِن مسائل علميّة فقهيّة، أو مباحث حديثيّة أو عقيديّة، أو غير ذلك مِن مُهمّات تتّصل بشرعِ اللّهِ سبحانهُ .

وسنقومُ - إن شاءَ اللّه - بعرضِ ما يَرِدُنا من ذلك على شيخنا العلّامة محمّد ناصر الدّين الألباني، للإجابة عليه، فجزاه اللّهُ خيرَ الجزاء .

وعليهِ؛ فإنّنا نُرحِّب باستفسارات القرّاء وأسئلتهم، سائلين اللّهَ سُبحانهُ النّفعَ والتّوفيقَ :

التحرير .

○ تحديدُ النَّسلِ :

سؤال / ١ : ما حُكمُ تحديدِ النَّسل ؟

□ جواب :

هذا الذي يُحدِّد نسلَه **بدونِ سببٍ مشروعٍ** أراهُ أحمقَ إنْ لم يكُن كافراً بالقضاءِ والقَدرِ، ذلك لأنَّ الذي يُحدِّدُ نسلَهُ بثلاثةِ أبناءٍ - مثلاً - وصارَ عمرُهُ خمسينَ سنةً ! لم يخطُر ببالِه الموتُ، أو أن تأتي عاصفةٌ تأخذُ أولادَه الثّلاثة فيبقى إلى آخر حياتِه كالأبتر ليسَ له نَسلٌ؛ فالّذينَ يُحدِّدونَ النَّسلَ لا يُفكِّرون في الذي يُفكِّر فيه كلُّ مسلمٍ وهو القَدَر الذي يتصرَّف بالإنسان كيف يشاء لا كيفَ شاؤوا هُم؛ فهذا في الواقعِ غَفلَةٌ شديدةٌ، **وحُرمةٌ ظاهرةٌ** .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

○ **تنظيمُ النَّسل :**

سؤال / ٢ : هَل يَختَلِف حُكمُ تنظيمِ النَّسل عن تحديدِه ؟

□ جواب :

تنظيمُ النَّسلِ فيه تفصيلٌ، فأقولُ :

هذا المسمَّى « التنظيم » ممَّا ابتُلي به المُسلمون اليومَ في بلادِ الإسلام، فهو له صورٌ مَرجعُها إلى الدَّافع على التَّنظيم؛ مَثلاً : إذا كان الدَّافعُ على التنظيم وَصفَ الأطبَّاءِ المُسلمين النَّاصحين، نصيحةً منهم للزَّوجين بهذا التَّنظيم المدَّعى، ومُحافظةً على صحَّة الزَّوجةِ التي انحرَفَت عن طبيعتها لسَببِ كونِها وَلوداً كثيرةَ الولادةِ !

فإذا كان هذا التَّوجيهُ نصيحةً مِن طبيبٍ حاذقٍ مسلمٍ : فيكون ذلك عُذراً شرعيّاً للتَّنظيم .

هذا مِثالٌ لما يجوزُ من التَّنظيم .

مثالٌ معاكسٌ له : إذاكان الدَّافعُ عليه هو الفَقرَ (!) أو الحساباتِ المادية التي يُعنى بها الكفَّار عادةً !! فترى أحدهم يقول : أنا وزوجتي اثنان، وعندي ولدان !! وخامسهُم كلبُهم !! فهذا المال الشهري الذي يأتينا يكون على قدرٍ يكفينا، وفقط (خمسة) !

هذا لا يجوزُ في الإسلام؛ لأنَّ هذا الدافعَ نابعٌ من المنطق الجاهلي الذي وُعظوا به نَهياً ومنعاً، كمثل قول اللّه تبارك وتعالى : ﴿ وَلا تَقتُلوا أولادَكُم خَشيَةَ إملاقٍ، نحنُ نَرزُقُكم وإيَّاهم ﴾، لا سيما والمُسلمون مؤمنون بأنَّ المولودَ يأتي ورزقهُ مَعه، لأنَّه قبلَ أن يَخرجَ إلى عالم الدُّنيا قُدِّر عليه رزقهُ وهو في بطنِ أُمِّه؛ كما بيَّنت السنَّة المشرَّفة .

فمثل هذا التَّنظيم - بهذا الدَّافع له - لا يجوزُ البتَّة .

وأمَّا ما قَد يُسوِّغه به (البعض) مِن مُسوِّغاتٍ فارغة .. فلا مكان له شرعاً .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

○ الأناشيد :

سؤال / ٣ : ما هو حُكمُ الأناشيد المُتداولة بين كثيرٍ من الشباب، ويُسمُّونها (أناشيد إسلاميَّة) ؟

□ جواب :

إذا كانت هذه الأناشيدُ ذاتَ معانٍ إسلاميَّة، وليس معَها شيءٌ مِن المعازف وآلات الطَّرب **كالدُّفوف والطُّبول** ونحوها، فهذا أمرٌ لا بأسَ به .

ولكنْ؛ لا بدَّ من بيانِ شرطٍ مهمٍّ لجوازها؛ وهو أنْ تكون خاليةً من المُخالفات الشَّرعيَّة، كالغُلُوِّ ونحوِهِ .

ثم شَرطٌ آخرُ؛ وهو عدمُ اتِّخاذها دَيدناً، إذ ذلك يصرفُ سامِعيها عن قراءَة القرآن الذي وَرَدَ الحضُّ عليه في السُّنَّة النبويَّة المطهَّرة، وكذلك يصرفُهُم عن طَلَبِ العلمِ النَّافعِ والدَّعوةِ إلى اللَّه سبحانه .

أمَّا استعمالُ (الدفوف) مع الأناشيد؛ فجائزٌ للنِّساء فيما بينهنّ دون الرجال، وفي العيد والنِّكاح فقط .

○ « تفسير المنار » ما لَهُ وما عليه :

سؤال / ٤ : ما هو رأيُكم في « تفسير المنار » للسيِّد رشيد رضا ؟

□ جواب :

« تفسير المنار » تفسيرٌ جيِّدٌ - إجمالاً - وهو يُعالجُ مشاكلَ المسلمين اليومَ، وفيه بحوثٌ اجتماعيةٌ وسياسيَّةٌ وتاريخيةٌ لا توجَد في كتب التَّفاسير المعروفة سابقاً، بل لا توجَد في كُتب المعاصرين؛ لأنَّ السيِّد رشيد رضا عالمٌ كبيرٌ وسياسيٌّ مسلمٌ، لكنْ في الوقت نفسه له **انحرافاتٌ عن السنَّة** في كثيرٍ من المواطن، مثلُ أحاديث عيسى والدجَّال والمهدي، وكذلك له فتاوى في أول أمرِهِ مخالفةٌ للحقِّ، ولكنَّه - بَعدُ - اعتَذَرَ عن بَعضِها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثمرات الكتب

محمد موسى نصر

هذه كلماتٌ سِمانٌ؛ مُنتقاةٌ مِن بُطونِ الكُتب، تحوي فوائدَ منثورةً مُهمَّةً، يستفيدُها طالبُ العلم خاصَّةً، وينتفعُ بها المسلمون عامَّةً :

• نَصيحةٌ عُمَرِيَّةٌ :

أخرج الخطَّابي رحمه اللَّه في « العزلة » (ص:٥٨) عن وَديعةَ الأنصاري قال : سمعت عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه يقول وهو يَعِظُ رجلاً : « لا تتكلَّم فيما لا يُعنيك، واعتزل عدوَّك، واحذر صديقك إلَّا الأمين، ولا أمين إلَّا من يخشى اللَّه عزَّ وجل ويطيعه، ولا تَمشِ مع الفاجر فيعلِّمَك من فجوره، ولا تُطلعه على سرِّك، ولا تشاوِره في أمرك، إلَّا الذين يخشونَ اللَّه سبحانه » .

• أخلاقُ النَّاس :

« النَّاس في أخلاقهم على سبع مراتب :

فطائفةٌ تمدح في الوجه وتذم في المغيب؛ وهذه صفة أهل النِّفاق من العيَّابين، وهذا خُلُقٌ فاشٍ في النَّاس غالبٌ عليهم .

وطائفةٌ تذمُّ في المشهد والمَغيب؛ وهذه صفةُ أهل السَّلاطة والوقاحة من العيَّابين .

وطائفةٌ تمدح في الوجه والمغيب؛ وهذه صفة أهل المَلَق والطَّمع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وطائفةٌ تذمُّ في المشهد وتمدح في المغيب؛ وهذه صفة أهل السُّخف والحمق .

وأمّا أهلُ الفضلِ فَيُمسِكون عن المدح والذم في المشاهدة، ويُثنون بالخير في المغيب، أو يمسكون عن الذّم .

وأمّا العيّابون البَرَاءُ من النِّفاق والقِحَةِ فَيُمسِكون في المشهد ويذمُّون في المَغِيب.

وأمّا أهلُ السَّلامة فَيُمسِكون عن المدح وعن الذمّ في المشهد والمغيب، ومن كلٍّ من أهل هذه الصِّفات قد شاهدنا وبلونا » .

« مداواة النُّفوس » (ص:٤٧-٤٨) لابن حزم رحمه الله.

• إلى العقلانيِّين (!) :

قال الإمامُ الرَّبَّانيُّ ابن قيِّم الجوزيَّةِ :

« المعارضةُ بين العقلِ والنَّقلِ هي أصلُ كلِّ فسادٍ في العالم، وهي ضدُّ دعوةِ الرُّسل مِن كلِّ وجهٍ؛ فإنَّهم دَعَوْا إلى تَقديمِ الوحيِ على الآراءِ والعُقولِ، وصارَ خصومُهُم إلى ضدِّ ذلك؛ فأتباعُ الرُّسل قدَّموا الوَحيَ على الرَّأيِ والمَعقولِ، وأتباعُ إبليسَ - أو نائبٍ من نوَّابِهِ - قدَّموا العقلَ على النَّقل !

وقال محمَّدُ بن عبدالكريم الشَّهرستانيّ في كتابه « المِلَل والنِّحَل » [٩/١] :

اِعلَم أنَّ أوَّلَ شُبهةٍ وقعَت في الخَلْقِ شُبهةُ إبليسَ، ومَصدرُها استبدادُهُ بالرَّأيِ في مُقابلةِ النَّصِّ، واختيارُهُ الهوى في مُعارضةِ الأمرِ، واستكبارُهُ بالمادَّةِ التي خُلِقَ منها - وهي النَّارُ -، على مادَّةِ آدمَ - وهي الطِّينُ - !!

وتشعَّبت عن هذه الشُّبهةِ شبُهاتٌ !! » .

« مختصر الصَّواعق المُرسلة » (٢٩٣/١) .

للعلاّمة الموصليّ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

• التَّكَلُّفُ في القراءة :

قال الإمامُ حمزةُ الزيَّات رحمه اللّه : « إنَّ لهذا التَّحقيقِ منتهىً ينتهي إليه ثمَّ يكون قبيحاً؛ مثل البياض له منتهى ينتهي إليه فإذا زادَ صارَ بَرَصاً، ولما أُخْبِرَ رحمه اللّه أنَّ بعض أصحابه همز حتى انقطع زِرُّه قال : « لم آمُرْهم بهذا كله » .

« المرشد الوجيز » (ص:٢١١) لأبي شامَة، وكتاب « السبعة » (ص:١١) لابن مجاهد - رحمهما اللّهُ - .

• لا تَشكو إلاّ إلى اللّه :

الجاهلُ يشكو اللّهَ إلى النَّاس؛ وهذا غايةُ الجهل بالمشكو والمشكو إليه، فإنَّه لو عرف ربَّه لما شكاه، ولو عرف النَّاس لما شكا إليهم، ورأى بعض السَّلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقَتَه وضرورتَه فقال : يا هذا ! واللّهِ ما زدتَ على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك، وفي ذلك قيل :

وإذا شكوتَ إلى ابنِ آدم إنَّما   تشكو الرَّحيمَ إلى الذي لا يرحم

والعارفُ إنَّما يشكو إلى اللّهِ وحدَه، وأعرفُ العارفين مَن جعل شكواه إلى اللّه من نفسِه لا من النَّاس، فهو يشكو من مُوجبات تسليط النَّاس عليه، فهو ناظرٌ إلى قوله تعالى : ﴿ ومَا أَصَابكُم من مُصيبةٍ فبما كَسَبَت أيديكم ﴾، وقولِهِ : ﴿ وَما أصابَكَ مِن سيِّئةٍ فمِن نفسِك ﴾، وقوله : ﴿ أوَ لمّا أصابَتكُم مُصيبةٌ قد أَصَبتم مِثلَيها قلتُم أنَّى هذا قُل هو من عندِ أنفُسِكم ﴾ .

فالمراتبُ ثلاثةٌ : أخسُّها أن تشكو اللّهَ إلى خلقه، وأعلاها : أن تشكو نفسَك إليه، وأوسطُها : أن تشكو خلقه إليه » .

« الفوائد » (ص:٨٨) للإمام ابن القيم رحمه اللّه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحوال العالم الإسلامي

التحرير

لم يعد بمقدورِ المرءِ أن يُلَملمَ الخرق لأنَّهُ اتَّسعَ على الرَّاقع، ولا الثَّوبَ من أطرافهِ لأنَّهُ خَلَقٌ؛ فهو بحاجةٍ إلى تجديد، ليعيش المرء حميداً أو يموتَ شهيداً .

١ - مشكلات الحدود .. لماذا الآن ؟

تفجرت على امتداد رقعة العالم الإسلامي - هذه الأيَّامَ - نزاعاتٌ حدوديَّةٌ بين دول المسلمين في آن واحد (!) .

○ إنَّ المسلمين عامَّة وأولي الأمرِ بخاصَّة يعلمونَ علم اليقين أنَّ هذه الحدود رسمتها يد سايكس وبيكو على أنقاض الدولة الإسلاميَّة (الذَّائبة) ! فما بالُنا ثبَّتناها ودافعنا عنها وجعلناها شيئاً مُقَدَّساً تراق من أجله دماء المسلمين بأيدي المسلمين ؟!

○ ثمَّ مَن الذي حرَّك هذه المشكلات الحدوديَّة في هذا الوقت ومعاً ؟! أليسوا هُم الذين ابتدعوها ليُشعِروا المسلمين بأنَّهم لا يزالون بحاجةٍ إلى حمايتهم من بعضهم بعضاً ؟!

○ ما بالنا نجعل هذه المُشكلةَ مُشكلةً (أساسيَّةً) بينما الرجل الأبيض في أوروبة يستفتي شعبه لإلغاء الحدود بين دول أوروبة والتَّوقيع على الوحدة التي تقتضيها معاهدة « ماسترخت » ؟!

○ وتدبروا يا أُمَّةَ الإسلام قوله تعالى : ﴿ إنَّ هذه أُمَّتُكم أُمَّةً واحدةً وأنا رَبُّكم فَاعبُدونِ ﴾، وقوله : ﴿ وإن هذه أُمَّتكُم أُمَّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتَّقون ﴾ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢ - محاكم التفتيش في آخر معاقل الإسلام في أوروبة :

لا يزال (صراع الثَّأر) على قدم وساق يستأصل المسلمين البشناق في البوسنة والهرسك آخر معاقل المسلمين في أُوروبة على مرأى ومسمع دعاة الإنسانيَّة، بل محرريها من إنسانيتها (!) فلم تحرك هيئة (اللمم) ساكناً، ولم يَخطُ مجلس (الفتن) خطوة لإيقاف هذه المجازر التي تُذَكِّرنا بمحاكم التفتيش في الأندلس، كما شهد الأعداء أنفسهم بذلك : فَمِن كَشفٍ عن « المقابر الجماعيَّة التي هُشِّمَت فيها الرُّؤوس بالفؤوس، إلى انتهاك الأعراض، إلى استرقاق أطفال المسلمين لتنصيرهم ... » إلخ .

ويشتدُّ العَجبُ عندما نرى الوجومَ قد غشي أُمَّةً فلم تسارع إلى نصرة إخوانٍ لهم، ومَدِّهِم بالعدة والعتاد واللباس والزَّاد، أو بالوقوف - على الأقلّ - في وجه الظلم والاستبداد .

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

٣ - الانتخابات الأمريكيَّة ... (!) :

عاش كثير من سكان العالم الإسلامي على أعصابهم يتابعون نتائج استطلاعات الرَّأي الأمريكي (!!) كلٌّ يريد أن يفوزَ أحد مرشحي الرِّئاسة الأمريكيَّة، ومن قبل ذلك فعلوا في « الانتخابات اليهوديَّة » !!!

وكأنَّ فوز أحد هؤلاء الكفرة الفجرة سيحُلُّ مشاكل العالم الإسلامي، أو سَيُعيد الحقوق المغتصبة لأصحابها .

وفي غمرَةِ ذلك نَسَوْا :

أنَّ الأفعى لا تلد إلّا أفعى، وأنَّ الذِّئبَ لا يأكل لحم ذئب .

وأنَّ جميع الكفَّار يتسابقون في خدمة بعضهم بعضاً .

وأنَّ كل واحدٍ منهم يستلُّ سيفه لاستئصال الإسلام، واجتثاثِ أهله من الأرض .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فمهما تغيَّرَ - الآنَ وَمن قَبلُ - الرُّؤساءُ الأمريكان .. فإنَّ (الخطَّ) المَرسومَ لهم .. لن يتغيَّر .. وَ (الإطارَ) المُحدَّدَ (لسياستهم) وَ (تحرُّكاتهم) .. لن يُتَعدَّى !

أيُّها المسلمون ! تذكَّروا قوله تعالى : ﴿ والَّذينَ كفروا بعضُهُم أولياءُ بعضٍ إلَّا تَفعَلوهُ تكُن فتنَةٌ في الأرض وفسادٌ كبير ﴾ .

٤ - جاران : الصومال والسودان :

الصوماليون يموتون جوعاً، أو ينتظرون فتات موائد « العم سام »، ومِن قبلهم السودانيون كانوا كذلك؛ عندما مُنعوا من زراعة أراضيهم، واستغلال ثروات بلادهم ...

ولكنْ بين عشيَّةٍ وضحاها، وعندما خرج السودانيون من « القمقم » .. فإذا هُم يُصدِّرونَ الحبوب واللحوم و ... و ... !

وينبغي أن نتذكر دائماً :

أنَّ أُمَّةً لا تأكل مما تزرع ولا تلبس ممَّا تصنع لن يكون لها وزن في عالم اليوم (!)

لأن الاقتصاد قوة أخطر من السلاح في عالم اليوم !!

ألم يكن من أسباب انهيار الدب الشيوعي وتفتته ... الاقتصاد ؟!

ألم تر أنَّ القلب الأمريكي يضطرب أمام الاقتصاد الياباني ؟!

إنَّنا نتطلَّع إلى ذلك اليوم الذي فيه يتحقق قول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم:

« لا تقوم السَّاعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً »[١].

﴿ واللَّهُ غالبٌ على أمره ولكن أكثر النَّاس لا يعلمون ﴾ .

... ونحنُ - إنْ شاءَ اللَّهُ - واثِقونَ ومُنتَظِرون .

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٧) (٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القُرّاء منهم وإليهم

التحرير

أعِزّاءنا القراء الكرام :

إنّنا نلمحُ الفرحةَ العارمةَ التي استقبلتم بها العدد الأوّل من مجلّتكم الغرّاء (**الأصالة**) حيث جَدَّدَتِ الأملَ، وأنارتِ الطَّريقَ لشُداةِ المنهج الحق، والقول الصِّدق، فقد اشتدَّ شوقُ (العالَم) الإسلامي إلى مجلّته، واتَّصلَ حنينه أو طال انتظاره، وأصبح - لتعلُّقه بمثل فكرة هذه المجلَّة - يُوجِّه العتاب القاسي إلى كلِّ مَن يُظَنُّ فيه الخير والمقدرة على حمل هذا العبء الثَّقيل .

كنَّا نعلم مدى تشوُّق الأمّة إلى (مجلَّتها)، وكنَّا معها نُعَلِّلُ النَّفس بالآمال نَرقُبُها، فلمَّا أصبحت (حقيقة) واقعة لا دافع لها، تهلَّلت ملامحُ السَّامعين، وطفح البِشرُ على وجوههم، وتُنوقلت الآمال، وجُليَت الأقلام التي علاها الصَّدأ من طول ما أُغمدت .

وما كنَّا - ولله الحمدُ والمنَّة - حينَ وعدنا بها هازلين ولا مُعلّلين، وإنَّما نحن - إن شاء اللَّه - على طريقنا مصمّمون، نتسلَّح بقوَّة اليقين في اللَّه، وعزم الإرادة، ونتحلَّى بالحرص والنَّشاط، فنرجو أن لا تكذِّبنا الظُّنون، وأن لا تعترضنا المعاكسات ولا العراقيل، وألَّا تُوقِفنا (المثبِّطاتُ)؛ مؤيَّدينَ برضى اللَّه سبحانه، ومن ثَمَّ بحرص الشَّباب المسلم الغيُور على دينه المتعطِّش لإقامة الحياة الإسلاميَّة على منهج السَّلف الصَّالح، المتميِّز بثباته وإصراره على الحق، تصديقاً لبشرى رسولنا الكريم ﷺ: « لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرينَ على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر اللَّه » .

وبعد : فنُجَدِّد - أخي المسلم الكريم - التَّرحيب والدَّعوة إلى كلِّ مشاركة طيِّبة جادَّة نافعة تتوافق مع نَسَقِ هذه المجلَّة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسك الختام

الحُبُّ في اللهِ .. وَ .. الوَلاءُ

التحرير

إنَّ قاعدة الحبّ والبغض في اللّه وحده لا شريك له هي التي تحدّد للمؤمن جهة الولاء الوحيدة الفريدة التي تتّفق مع صفة الإيمان، وتنبثق عنه .

إنَّ عبدَ اللّه حقاً مَن يُرضيه ما يُرضي اللّه ورسوله ﷺ، ويُسخطه ما يُسخط اللّه ورسوله .

وحسبه ما أحبّه اللّه، فيهجر ما أبغضه اللّه، فيوالي أولياء اللّه، ويعادي أعداء اللّه، هذا الذي ملأ الإيمان قلبه، فوجد له حلاوة وطراوة ونداوة .

فلا مجال للتّمحل، أو التّأوّل، ولا فرصة لتمييع المنهج الإسلامي، لأنَّ المسألة في صميمها هي العقيدة، ومحلها الولاء للّه ولرسوله والمؤمنين، والالتقاء على منهج اللّه والتّفرّق عليه .

﴿ أم حسبتم أن تُترَكوا ولـمّا يعلَم اللّه الذين جاهدوا منكم ولم يتّخذوا من دون اللّه ولا رسوله ولا المؤمنينَ وَليجةً واللّهُ خبيرٌ بما تعملون ﴾ [التّوبة:١٦] .

وقال ﷺ : « سبعة يظلهم اللّه في ظلّه يومَ لا ظلَّ إلّا ظلّه : الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربّه، ورجلٌ قلبه معلّق بالمساجد، **ورجلان تحابّا في اللّه اجتمعا عليه وتفرّقا عليه**، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقالَ : إنّي أخاف اللّه، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه، ورجل ذكرَ اللّه خالياً ففاضت عيناه » متّفق عليه .

إنَّ الالتزام دائماً يكون بالمنهج الإسلامي الصّحيح؛ بما شرعه اللّه، وتجسّم أسوة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حسنة في حياة رسول الله ﷺ، فهذا هو المقياس الحقّ، وليس الالتزام بالأنساب، أو الأشخاص، أو الجماعات، أو الأحزاب، أو المذاهب، أو الفرق، أو الحكومات، أو الشُّعوب، أو الشيوخ !!

إنَّ الخلل والعلل تَتسلَّل إلى الحياة الإسلامية من الصُّدود والعدول عن هذا المقياس أو محاولة اختلاسه من يد العبد المسلم، ومن ثمَّ تكون العصمة الكاذبة التي تُخلع على الأشخاص الذين أُلبسوا هالة التّقديس، ووضعوا فوق النّقص والنّقد، حيث تَمُدُّ المُسَوِّغاتُ المُضحِكَةُ المُبكِيَةُ رأسَها، والتي وُضعت لتصرُّفاتهم وأخطائهم التي تتناقض أصلاً ورأساً مع ما يُحِبُّه اللّه ويرضاه، ويَبرَأُ منه المنهج الإسلامي الصَّحيح .

ومن هنا تبدأ مرحلة السُّقوط حيث تبدأ عمليَّة تخديم الأهداف الإسلاميَّة الصَّادقة والقيم الرَّبانيَّة لا خدمتها :

يا ويلَ مصائبِ أُمَّتنا　　　إسلامٌ يخدم تنظيما

حينئذ تبدأ الأحكامُ تُفصَّل على الأشخاص، والحِيَلُ تؤصَّل حتى تُصبح لها مصنَّفات .

ولا ينبغي للعبد الذي يحب اللّهَ ورسولَه، ويحبّ في اللّه ويبغض في اللّه، ويُعطي في اللّه ويمنع في اللّه، ويصل للّه ويقطع للّه، أن يظنَّ أنَّ الدَّعوة إلى التزام المنهج الإسلامي الصَّحيح في الولاء والبراء والحب والبغض وعدم التزام الأشخاص، والشّارات واليافطات، ارتداد إلى الفرقة وبعثرة الجهود .

إنَّ هذا الأصل الذي ترتبط به علاقات المسلمين ليس من الأمور الاختياريَّة، إنَّما هو تصحيح لمسيرة الدعوةِ الإسلاميَّة، وإلغاء الإقطاعات البشريَّة من حياة المسلمين والتزام بالإسلام الَّذي ارتضاه اللّه لنا ديناً، وبيَّنَهُ رسولُه ﷺ أتَمَّ بيان، وفصَّلهُ أحسن تفصيل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المُحتوى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com